خطب شهر رجب

دروس

الإسراء والمعراج

ومكانة الأقصى

أعده

د. حسين عامر

الأستاذ المساعد بجامعة مينيسوتا

للدراسات الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الزمان مواسم للطاعات والعبادات، واختص بعض الشهور بمزيد من الفضل والمكانة، وجعلها محطات يتزود فيها المسلمون من الخيرات، والصلاة والسلام على خير من أدى الأمانة وبلغ الرسالة، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان رحمة للعالمين، وداعيًا إلى الخير، وهادياً إلى صراط مستقيم.

أيها الخطباء والدعاة الكرام، بين أيديكم هذا الكتاب الذي يجمع بين دفتيه سلسلة من الخطب المباركة التي أُلقيت على المنبر في شهر رجب، هذا الشهر الذي يعد أحد الأشهر الحرم التي خصها الله بالتعظيم والحرمة.

كما أنه شهر يتزامن مع ذكرى عظيمة في سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم-، وهي معجزة الإسراء والمعراج، التي كانت تكريمًا للنبي صلى الله عليه وسلم في أشد أوقات دعوته حرجًا وصعوبة؛ تلك الرحلة الإيمانية التي حملت دروسًا عظيمة في العقيدة والعبادة، وارتباطًا وثيقًا بين المساجد الثلاثة المباركة: المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوي. وهي مناسبة لتذكير الأمة بأهمية العقيدة الصحيحة والصبر على الشدائد، والثبات على الحق مهما بلغت التحديات.

أيها الدعاة الأفاضل، هذا الكتاب هو دعوة لكم لاستثمار المنابر في توعية الناس بفضائل هذا الشهر الكريم، وإحياء لمكانة المسجد الأقصى في القلوب وربط الأجيال الجديدة بتاريخهم العظيم.

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب معينًا لكم في أداء هذه الأمانة، ورافدًا يعينكم على تبليغ الرسالة، وتوعية الأمة بفضائل هذا الشهر الكريم.

جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ حسين عامر

الخطبة الأولى
فضل شهر رجب

عناصر الخطبة:

أولا / سبب التسمية.

ثانيا / فضل شهر رجب.

ثالثا / ما حكم الصوم في رجب.

رابعا / العمرة في رجب.

خامسا /حكم ذبيحة العَتِيرَة.

سادسا / هل لرجب صلاة مخصوصة؟

سابعا /هل كان الإسراء والمعراج في رجب؟

ثامنا / بعض الأحاديث غير الصحيحة في فضل رجب.

الخطبة الأولى

فضل شهر رجب

أيها الإخوة الكرام، نقف اليوم مع شهرٍ عظيم من الأشهر الحرم، شهر رجب، الذي قال فيه الله عز وجل : **(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**)[التوبة: 36].

في هذا الشهر المبارك، الذي عظمه الله من فوق سبع سماوات، كان العرب في الجاهلية يعظمونه بتحريم القتال فيه، وجاء الإسلام ليؤكد على حرمته.

وفي خطبتنا هذه، سنتحدث عن شهر رجب من جوانب متعددة:

عناصر الخطبة:

أولا / سبب التسمية.

ثانيا / فضل شهر رجب.

ثالثا / ما حكم الصوم في رجب.

رابعا / العمرة في رجب.

خامسا /حكم ذبيحة العَتِيرَة.

سادسا / هل لرجب صلاة مخصوصة؟

سابعا /هل كان الإسراء والمعراج في رجب؟

ثامنا / بعض الأحاديث غير الصحيحة في فضل رجب.

أولا / سبب التسمية

سُمي رجبٌ رجباً لأنه كان يُرجَّب أي يُعظَّم، والعرب كانت تسمي رجبًا بالأصم لأنه لا يسمع فيه صوت سلاح ولا حركة قتال؛ لأنه من الأشهر الحرم .

ثانيا / فضل شهر رجب

شهر رجب من الأشهر الحرم التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم قال تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ

السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ) [التوبة:36]

فأخبر سبحانه أنه منذ خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا، ومن هذه الأشهر أربعة أشهر حرما.

وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فقال : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ السنة اثنا عشر شهر، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ،ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) رواه البخاري

وكانت العرب تعظم الأشهر الحرم قبل الإسلام فلا تقاتل فيها.. وجاء الإسلام وعظم هذه الأشهر وجعل لها مكانة كبيرة بتأكيد تحريم القتال فيها إلا أن يبدأ العدو.

وسمي رجب مضر لأنه كانت بنو ربيعة يقصدون الكعبة في رمضان ويسمونه رجبا فضبطه النبي بقوله: (ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) وربيعة ومضر يرجع إليهما أصل كثير من القبائل بالجزيرة العربية.

ما هو النسيء؟

قوله صلى الله عليه وسلم :(إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا) مراده بذلك إبطال ما كانت الجاهلية تفعله من النسيء، كما قال تعالى: (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) [التوبة: 37.]

كانوا يحلون شهر المحرم فيستحلون القتال فيه لطول مدة التحريم عليهم بتوالي ثلاثة أشهر محرمة، فكانوا يحلون المحرم مع صفر من عام، ويسمونهما صفرين ثم يحرمونهما من عام قابل ويسمونهما محرمين، ثم يدور كذلك التحريم والتحليل والتأخير إلى أن جاء الإسلام ووافق حجة الوداع صار رجوع التحريم إلى شهر محرم الحقيقي.

وقال مجاهد: كانوا يسقطون المحرم ثم يقولون: صفرين لصفر وربيع الأول وربيع الآخر ثم يقولون: شهرا ربيع، ثم يقولون: لرمضان شعبان، ولشوال رمضان، ولذي القعدة شوال، ولذي الحجة ذو القعدة، على وجه ما

ابتدأوا، وللمحرم ذو الحجة فيعدون ما ناسؤوا على مستقبله على وجه ما ابتدأوا.

هل تضاعف السيئات في الأشهر الحرم؟

يرجع ذلك لتفسير قوله تعالى: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ} فيه قولان:

أحدهما: لا تظلموا أنفسكم في الشهور كلها.

الثاني: المراد بذلك الأشهر الحرم فقط.

واختلف في المراد بالظلم على قولين أيضا:

أحدهما: لا تظلموا فيهن أنفسكم بتحليلهن ، يعني قلبها من شهر حرام إلى شهر حلال كما كان يفعل العرب.

الثاني : لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب فيهن ، فإن الله إذا عظم شيئا من جهة صارت له حرمة واحدة ، وإذا عظمه من جهتين أو من جهات صارت حرمته متعددة بعدد جهات التحريم ، ويتضاعف العقاب بعمل السيئات فيها، كما ضاعف الثواب بالعمل الصالح فيها ؛ فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام والمسجد الحرام ليس كمن أطاعه في شهر حلال في بلد حلال في بقعة حلال، وكذلك العصيان والعذاب مثله في الموضعين .

ومن العلماء من يرى أن تضاعف الحسنة والسيئة في الزمان والمكان الفاضلين حاصل ، ولكن هناك فرق بين مضاعفة الحسنة ومضاعفة السيئة ، فمضاعفة الحسنة مضاعفة بالكم والكيف، والمراد بالكم : العدد ، فالحسنة بعشر أمثالها أو أكثر ، والمراد بالكيف أن ثوابها يعظم ويكثر ، وأما السيئة فمضاعفتها بالكيف فقط أي أن إثمها أعظم والعقاب عليها أشد ، وأما من حيث العدد فالسيئة بسيئة واحدة ولا يمكن أن تكون بأكثر من سيئة ، قال تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الحج/25]

ولم يقل: نضاعف له ذلك، بل قال: (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) فتكون مضاعفة السيئة في مكة أو في المدينة مضاعفة كيفية (بمعنى أنها تكون أشد ألماً ووجعاً (أفاده ابن عثيمين رحمه الله)

وقال ابن القيم – رحمه الله –: (تضاعف مقادير السيئات فيه لا كميتها فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن سيئة كبيرة).

ثم يقول: (فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه) انتهى. [زاد المعاد 1-51]

وهذا كله اجتهاد في فهم الآية لا يرقى أن يكون دليلا قطعيا في المسألة وأرى أن الحديث القدسي (وإن هم عبدي بسيئة فعملها فاكتبوها له واحدة) يفصل في المسألة بشكل واضح وأن ما يساق من شأن المضاعفة من باب الترهيب من الوقوع في السيئات والترغيب من الإكثار من الحسنات، لكن الحقيقة الشرعية لم يأت دليل قطعي في مضاعفة السيئات في بعض الأزمان وإنما هو اجتهاد من أهل العلم.

قال اسحق بن منصور : قلت لأحمد : في أي شيء من الحديث أن السيئة تكتب بأكثر من واحدة ؟ قال : لا ، وما سمعنا إلا بمكة لتعظيم البلد .[1]

ثالثا / ما حكم الصوم في رجب

الصحيح أنه لم يرد في فضل شهر رجب لا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح، غير أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على استحباب الصيام في الأشهر الحرم (ورجب من الأشهر الحرم) فقَالَ صلى الله عليه وسلم: (صُمْ مِنْ الْحُرُمِ وَاتْرُكْ) [2]

فهذا الحديث – إن صح – فإنه يدل على استحباب الصيام في الأشهر الحرم، فمن صام في شهر رجب لهذا، وكان يصوم أيضاً غيره من الأشهر الحرم فلا بأس، أما تخصيص رجب بالصيام فلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة ، بل موضوعة ، لا يعتمد أهل العلم على شيء منها ، وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل ، بل عامتها من الموضوعات المكذوبات.[3]

---

[1] لمزيد من الفائدة يمكن مراجعة جامع العلوم والحكم عند حديث" إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات."

[2] رواه أبو داود وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

[3] مجموع الفتاوى(25/290)

رابعا / العمرة في رجب

الصحيح أنه لم يرد تخصيص شهر رجب بالعمرة عن الصحابة ولا التابعين؛ بل النص وارد بفضل العمرة في رمضان لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (عمرة في رمضان تعدل حجة).

لكن لو اعتمر أي مسلم في رجب دون اعتقاد فضل خاص للعمرة عن غيره في هذا الشهر فلا بأس بذلك.

خامسا حكم ذبيحة العَتِيرَة

كانوا في الجاهلية يذبحون ذبيحة في رجب يسمونها العتيرة، واختلف العلماء في حكمها في الإسلام، فالأكثرون على أن الإسلام أبطلها.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا فرع ولا عتيرة)

ومنهم من قال: بل هي مستحبة منهم ابن سيرين، وحكاه الإمام أحمد عن أهل البصرة، ورجحه طائفة من أهل الحديث المتأخرين، ونقل حنبل عن أحمد نحوه.

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجة عن مخنف بن سليم الغامدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعرفة: (إن على كل أهل بيت في كل عام أضحية أو عتيرة) وهي التي يسمونها الرجبية.

وفي النسائي عن نبيشة أنهم قالوا: يا رسول الله إنا كنا نعتر في الجاهلية، يعني في رجب؟ قال: (اذبحوا لله في أي شهر كان، وبروا لله وأطعموا)

وروى الحارث بن عمرو: (أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرع والعتائر؟ فقال: (من شاء فرع ومن شاء لم يفرع، ومن شاء عتر ومن شاء لم يعتر) وفي حديث آخر قال: (العتيرة حق).

وفي النسائي عن أبي رزين قال: قلت يا رسول الله! كنا نذبح ذبائح في الجاهلية -يعني في رجب- فنأكل ونطعم من جاءنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا بأس به)

وخرج الطبراني بإسناده عن ابن عباس قال: استأذنت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم في العتيرة؟ فقال: اعتر كعتر الجاهلية، ولكن من أحب منكم أن يذبح لله فيأكل ويتصدق فليفعل.)

وهؤلاء جمعوا بين هذه الأحاديث وبين حديث: (لا فرع ولا عتيرة) بأن المنهي عنه هو ما كان يفعله أهل الجاهلية من الذبح لغير الله.

وحمله سفيان بن عيينة على أن المراد به نفي الوجوب.

ومن العلماء من قال: حديث أبي هريرة أصح من هذه الأحاديث وأثبت فيكون العمل عليها دونها وهذه طريقة الإمام أحمد.

وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال: ليس في الإسلام عتيرة إنما كانت العتيرة في الجاهلية كان أحدهم يصوم رجب ويعتر فيه ويشبه الذبح في رجب اتخاذه موسما وعيدا كأكل الحلوى ونحوها وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يكره أن يتخذ رجب عيدا.

سادسا / هل لرجب صلاة مخصوصة؟

صلاة الرغائب:

لم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء.

سابعا /هل كان الإسراء والمعراج في رجب؟

روى بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد: أن الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان في سابع وعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره.

ودرج كثير من المسلمين بناء على اعتقاد أن الإسراء والمعراج وقع في ليلة السابع والعشرين من رجب، درجواعلى تعظيمَ هذه الليلة، وإحيائها بصلاة مخصوصة يسمونها: صلاة ليلة المعراج، ومنهم من يصوم النهار، وكل هذا من المحدثات، ولا يُعلم يقينا متى كانت ليلة الإسراء والمعراج، ولو ثبت ذلك فعلا فإنه لم يثبت لدينا أن الرسول خص هذه الليلة ويومها بصيام أو قيام.

ثامنا / بعض الأحاديث غير الصحيحة في فضل رجب

1- **اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان.**

قال البخاري: منكر، وضعفه النووي، لكن لا بأس بالدعاء به؛ مع اعتقاد عدم ثبوته عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر الأمة.

قال ابن الجوزي: موضوع، وقال البخاري (منكر الحديث) وضعفه الحافظان ابن رجب وابن حجر رحمهما الله تعالى.

3- إن في الجنة نهرًا يُقال له رجب، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن وأحلَى من العسل، مَن صام يومًا من رجب سَقاه اللهُ من ذلك النّهر

حديث لا يصح

4- مَن صام من رجب يومًا كان كصيام شهرٍ، ومن صام منه سبعةَ أيّام غُلِّقت عنه أبواب الجَحيم السبعةُ ومن صام منه ثمانيةَ أيام فُتِّحتْ أبوابُ الجنّةِ الثمانيةُ، ومن صام منه عشرة أيام بُدِّلت سيِّئاته حسناتٍ.

حديث لا يصح أيضا .

5- حديث: فضل شهر رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الأذكار

وهذا حديث موضوع.

****

الخطبة الثانية

رحلة الطائف دروس وعبر

عناصر الخطبة:

أولا / لماذا اختار الرسول ﷺ الطائف؟

ثانيا / شكوى النبي ﷺ إلى ربه.

ثالثا/ قصة إسلام عداس.

رابعا/ صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم.

خامسا/إسلام الجن.

سادسا/ عودة النبي ﷺ إلى مكة.

سابعا/ الدروس والعبر من رحلة الطائف.

الخطبة الثانية

حدث قبل الإسراء
رحلة الطائف دروس وعبر

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقتدي بالأنبياء والمرسلين الذين سبقوه في الدعوة إلى الله، وكان يواصل الدعوة ليلا ونهارا، ويطرق كل الأبواب ويبذل كل الجهد، ويسلك كل السبل التي تكون سببا في هداية الناس إلى صراط الله المستقيم.

وها هو عليه الصلاة والسلام ينتقل إلى الطائف، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى لإيجاد مركز جديد للدعوة، وطلب النصرة من ثقيف.

وسوف تنتظم الخطبة في العناصر التالية:

أولا / لماذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الطائف؟

ثانيا / شكوى النبي إلى ربه.

ثالثا/ قصة إسلام عداس.

رابعا/ صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم.

خامسا/إسلام الجن.

سادسا/ عودة النبي إلى مكة.

سابعا/ الدروس والعبر من رحلة الطائف.

أولا / لماذا اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الطائف؟

كانت الطائف تمثل العمق الاستراتيجي لملأ قريش، وقد كان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف؛ ويقضون فيها فصل الصيف، فإذا اتجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الطائف فذلك توجه مدروس، وإذا استطاع أن يجد له فيها موضع قدم، وعصبة تناصره، فإن ذلك سيفزع قريشًا، ويهدد أمنها ومصالحها الاقتصادية تهديدًا مباشرًا.

وهذا التحرك الدعوي السياسي، الذي يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على حرصه في الأخذ بالأسباب لإيجاد قوة جديدة، تطرح نفسها داخل

حلبة الصراع؛ لأن تأسيس الدولة وإيجاد القوة التي لها وجودها، من الوسائل المهمة في تبليغ دعوة الله إلى الناس.

اتجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مباشرة حينما دخل الطائف، إلى بني عمرو بن عمير وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو غير أنهم كانوا شديدي الحذر وكثيري التخوف، فلم يستجيبوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بل بالغوا في السفه وسوء الأدب معه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم: «إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني) وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ما حدث له فيشددون وطأتهم عليه هو وأصحابه ويشمتون بهم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أن تتم اتصالاته تلك في جو من السرية، وألا تنكشف تحركاته لقومه؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم كثيرا بجوانب الحيطة والحذر فقد:

أ-كان خروجه من مكة على الأقدام، حتى لا تظن قريش أنه ينوي الخروج من مكة؛ لأنه لو خرج راكبًا فذلك مما يثير الشبهة والشكوك، وأنه ينوي الخروج والسفر إلى جهة ما، مما قد يعرضه للمنع من الخروج من مكة دون اعتراض من أحد.

ب-واختيار الرسول صلى الله عليه وسلم زيدًا كي يرافقه في رحلته فيه جوانب أمنية، فزيد هو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبني، فإذا رآه معه أحد، لا يثير ذلك أي نوع من الشك لقوة الصلة بينهما، كما أنه صلى الله عليه وسلم عرف زيدًا عن قرب.

ج- وعندما كان رد زعماء الطائف ردًا قبيحًا مشوبًا بالاستهزاء والسخرية، تحمله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يغضب أو يثُر، بل طلب منهم أن يكتموا عنه، فهذا تصرف غاية في الحيطة، فإذا علمت قريش بهذا الاتصال فإنها لا تسخر منه فحسب، بل ربما شددت عليه في العذاب والاضطهاد، وحاولت رصد تحركاته داخل وخارج مكة.

ثانيا / شكوى النبي إلى ربه:

كان بنو عمرو لئامًا فلم يكتموا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمون بالحجارة، حتى دمت عقباه وتلطخت

نعلاه، وسال دمه الزكي على أرض الطائف، وما زالوا به وبغلامه زيد بن حارثة حتى ألجأوهما إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه، فعمد إلى ظل شجرة من عنب، فجلس فيه هو وصاحبه زيد، ليستريحا من عنائهما، وما أصابهما، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، ولم يحركا ساكنًا.

وفي هذه الغمرة من الأسى والحزن، والآلام النفسية والجسمانية توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه بهذا الدعاء الذي يفيض إيمانًا ويقينًا، ورضى: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك لك العتبى[4] حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله[5].

ثالثا/ قصة إسلام عداس:

فلما رآه عتبة وشيبة رقَّا له، ودعوا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له: عدَّاس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده، قال: «باسم الله» ثم أكل، فنظر عدَّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام، ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي»، فأكب عداس على رسول الله صلى

---

[4] العتبى: الاسترضاء.

[5] ذهب الدكتور العمري إلى تضعيف الحديث في كتابه السيرة النبوية الصحيحة (186/1) وذهب إبراهيم العلي إلى صحته وبين أن للحديث شاهدًا يقويه ولذلك اعتبره صحيحًا وذكره في كتابه صحيح السيرة النبوية، ص136، وذهب الدكتور عبد الرحمن عبد الحميد البر مدرس الحديث وعلومه في جامعة الأزهر أن الحديث بطريقيه قوي مقبول، وخرج طرقه في كتابه الهجرة النبوية المباركة، ص38.

الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه، أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عدَّاس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

رابعا/ صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم:

كانت رحمته وشفقته العظيمة هي التي تغلب في المواقف العصيبة التي تبلغ فيها المعاناة أشد مراحلها، وتضغط بعنف على النفس لتشتد وتقسو، وعلى الصدر ليضيق ويتبرم، ومع ذلك تبقى نفسه الكبيرة ورحمته العظيمة هي الغالبة.

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب [6]فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئًا.

كانت إصابته صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبلغ من الناحية الجسمية، أما من الناحية النفسية، فإن إصابته يوم الطائف أبلغ وأشد؛ لأن فيها إرهاقًا كبيرًا لنفسه ومعاناة فكرية شديدة جعلته يستغرق في التفكير من الطائف إلى قرن الثعالب.

خامسا/إسلام الجن:

لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعًا إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به

---

[6] هو قرن المنازل ميقات أهل نجد ويسمى الآن السيل الكبير.

النفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى، وكانوا سبعة نفر من جن أهل نصيبين[7]، فاستمعوا لتلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من صلاته، ولَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الأحقاف: 29-30].

هبط هؤلاء الجن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: (أَنْصِتُوا).

هذه الدعوة التي رفضها المشركون بالطائف تنتقل إلى عالم آخر هو عالم الجن، فتلقوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ومضوا بها إلى قومهم، كما مضى بها أبو ذر الغفاري إلى قومه، والطفيل بن عمرو إلى قومه، وضماد الأزدي إلى قومه، فأصبح في عالم الجن دعاة يبلغون دعوة الله تعالى: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأحقاف: 31].

وأصبح اسم محمد صلى الله عليه وسلم تهفو إليه قلوب الجن، وليس قلوب المؤمنين من الإنس فقط، وأصبح من الجن حواريون، حملوا راية التوحيد، ووطنوا أنفسهم دعاة إلى الله. وأنزل في حقهم قرآنا يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا .....) [الجن: 1-13].

سادسا/ رجوع النبي إلى مكة:

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف، صار إلى حِراء ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فقال: أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال له: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى

---

[7] نصيبين مدينة تاريخية قديمة تقع حاليًا في جنوب شرق تركيا، قرب الحدود مع سوريا .تُعرف اليوم باسم نُصايبين تقع في ولاية ماردين التركية.

المطعم بن عدي -سيد قبيلة بني نوفل بن عبد مناف- بعث إليه رجلاً من خزاعة، «أدخل في جوارك؟» فقال: نعم: ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته، فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون بالسلاح حتى دخل بيته.

وقد حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيع مطعم بن عدي، وعرف مدى الخطورة التي عرض نفسه وولده وقومه لها من أجله، فقال عن أسارى بدر السبعين يوم أسرهم: لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له، ورجع النبي مكة مرة ثانية وقد اجتمعت عليه مرارة الرحلة القاسية والتعب الجسماني والنفسي فأراد الله أن يسري عنه فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

سابعا/ الدروس والعبر من رحلة الطائف:

رحلة النبي ﷺ إلى الطائف تعد واحدة من أصعب المواقف التي تعرض لها النبي ﷺ في سيرته، وهي مليئة بالدروس والعبر التي تلهم المسلمين في حياتهم ودعوتهم. فيما يلي أبرز الدروس والعبر:

1. **الصبر والثبات في الدعوة**
النبي ﷺ واجه في الطائف صدودًا قاسيًا وأذى جسديًا ونفسيًا شديدًا، ومع ذلك لم يتخل عن دعوته، يعلّمنا ذلك أهمية الصبر في مواجهة التحديات والصعوبات، خاصة عندما تكون الغاية سامية.

2. **أهمية البحث عن بدائل وأبواب جديدة**
بعد أن لقي معارضة في مكة، حاول النبي ﷺ فتح أبواب جديدة لدعوته بالتوجه إلى الطائف، وهذا يعلّمنا أهمية الاستمرار في البحث عن فرص جديدة وعدم الاستسلام أمام العقبات.

3. **التوكل على الله والتضرع إليه عند الشدائد:**
النبي ﷺ بذل جهده ولاقى ما لاقى من أهل الطائف وهنا يلجأ إلى الله بالدعاء والشكوى، فما أحوجنا للركون إلى الله والتضرع إليه خاصة عند الشدائد، وهذا يظهر أهمية التوكل والاعتماد على الله في أشد الظروف، مع الإيمان بأنه لن يخذل عباده الصالحين.

4. **إنما أنا رحمة مهداة:**
بعد أن عرض عليه ملك الجبال أن يُطبق على أهل مكة الأخشبين (جبلين)، رفض النبي ﷺ وقال :**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا** .هذا الموقف يعكس رحمة النبي ﷺ حتى بمن أساؤوا إليه، ورؤيته البعيدة لتحقيق الخير للبشرية.

5. **الدعوة ليست مرتبطة بالنتائج الآنية**:
لم يحقق النبي ﷺ نجاحًا ظاهريًا فوريًا في الطائف، لكن بذرة الدعوة التي زرعها أثمرت فيما بعد عندما دخل كثيرون في الإسلام.

يعلّمنا ذلك أن العمل والإخلاص في الدعوة لا يعتمد على النتائج الفورية، بل على النية والمثابرة.

6. **القوة الحقيقية في العفو:**
عفو النبي ﷺ عن أهل الطائف رغم قدرته على الانتقام مما فعلوه به يبيّن أن العفو من شيم العظماء، فما أسهل الانتقام والتشفي وما أعظم العفو عند المقدرة.

7. **الأمل رغم المحن**:
لم يفقد النبي ﷺ الأمل، وظل يعمل ويجتهد رغم الظروف القاسية، مؤمنًا بأن النصر من عند الله، يعلّمنا ذلك أن الفرج قد يأتي بعد أشد اللحظات صعوبة، وأن المسلم يجب أن يبقى متفائلًا مهما بلغت التحديات.

خاتمة

رحلة النبي ﷺ إلى الطائف نموذج ملهم للدعاة في الصبر والثبات، وهي تذكّرنا بأن طريق الحق ليس سهلًا، لكنه مليء بالأجر والبركة لمن صبر واحتسب.

****

الخطبة الثالثة

الحرب على غزة في الأشهر الحرم

عناصر الخطبة:

أولا/ ما هي الأشهر الحرم؟

ثانيا/ سرية عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة.

ثالثا/ حرب غزة في الشهر الحرام.

رابعا/ أخلاق الحروب في الإسلام.

خامسا/ الحروب بين سماحة الإسلام ودموية الغرب.

سادسا/ التوراة المحرفة تأمرهم بذلك .

الخطبة الثالثة

الحرب على غزة في الأشهر الحرم

عناصر الخطبة:

أولا/ ما هي الأشهر الحرم؟

ثانيا/ سرية عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة.

ثالثا/ حرب غزة في الشهر الحرام.

رابعا/ أخلاق الحروب في الإسلام.

خامسا/ الحروب بين سماحة الإسلام ودموية الغرب.

سادسا/ التوراة المحرفة تأمرهم بذلك .

أولا/ ما هي الأشهر الحرم؟

شهر رجب من الأشهر الحرم التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم قال تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ)[التوبة:36]، فأخبر سبحانه أنه منذ خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا، ومن هذه الأشهر أربعة أشهر حرما، وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فقال : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ السنة اثنا عشر شهر، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ،ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) رواه البخاري

وكانت العرب تعظم الأشهر الحرم قبل الإسلام فلا تقاتل فيها، وجاء الإسلام وعظم هذه الأشهر وجعل لها مكانة كبيرة بتأكيد تحريم القتال فيها إلا أن يبدأ العدو.

ثانيا/ سرية عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة

وكانت في رجب 2هـ ،بقيادة عبدالله بن جحش الأسدي ،وكان معه 12رجلا من المهاجرين ، وقد أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً ، وأمره ألا يقرأه إلا بعد مسيرة يومين ، وتضمن الكتاب الأمر بالمُضِّي حتى وصول نخلة (مكان

بين مكة والطائف)، ثم القيام برصد عيرٍ لقريش ، فساروا حتى بلغوا المكان ، فمرت العير تحمل زبيباً ، وأُدْماً ، وتجارة ، فلحق بها المسلمون حتى أدركوها في آخر يوم من رجب وهو من الأشهر الحرم ، فقتلوا ناساً من القافلة ، ولاذ البعض بالفرار ، وكانت القافلة بالنسبة لهم فرصة كبيرة لأكثر من سبب فهي:

أولاً: ستكون الضربة الأولى لقريش لأن كل الغزوات والسرايا السابقة لم تسفر حقيقة عن أي غنائم أو انتصارات.

ثانيًا: هذه الضربة في عمق الجزيرة العربية بعيدًا جدًا من عقر دار المسلمين، وقريبًا جدًا من عقر دار الكافرين، وهي تحمل جرأة لا تخفي على أحد، وسيكون لها أثر سلبي ضخم على المشركين،

ثالثًا: الحراسة في صحبة القافلة ضعيفة وقليلة وليست إلا أربعة رجال فقط بينما المسلمون عشرة.

رابعًا: المسلمون في هذه السرية من المهاجرين الذين أوذوا إيذاءً كبيرًا من قريش، بل إن قائدهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه قد سلبت داره شخصيًا حين استولى عليها أبو سفيان بعد هجرة عبد الله بن جحش وباعها لنفسه.

وعادت السرية بالعير وأسيرين إلى المدينة ، فعاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتالهم في الشهر الحرام ، واستغل المشركون الحادثة ، وتحدثوا أن المسلمين قد انتهكوا الأشهر الحرم ، ثم نزل القرآن حاسماً للموقف بأنّ ما يقوم به المشركون من الصد عن دين الله ، وعن المسجد الحرام ، وإيذاء المؤمنين، والشرك بالله، أشد حرمة من القتال في الأشهر الحرم، قال تعالى: { يَسأَلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أَهله منه أَكبر عند اللَّه والفتنة أَكبر من القتل } [البقرة:217]

بعد ذلك أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح الأسيرين، ودفع دية المقتول إلى أوليائه.

والمعنى: يسألك الناس – أيها النبي – عن حكم القتال في الأشهر الحرم: ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب، قل مجيبًا إياهم: القتال في هذه الأشهر عظيم عند الله ومستنكر، كما أن ما يقوم به المشركون من صد عن سبيل الله مستقبح كذلك، ومنع المؤمنين عن المسجد الحرام، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام، والشرك الذي هم فيه أعظم من القتل.

ثالثا/ حرب غزة في الشهر الحرام:

وهذا الذي نراه الآن في الحرب الوحشية الدائرة في غزة والتي دخلت على مئة يوم الآن أرقام مهولة:

- عدد الشهداء يتجاوز الآن 24ألف شهيد 70% منهم نساء وأطفال.
- دمار شامل في القطاع، حيث تبلغ نسبة المباني المدمرة في غزة:
- 50 % من المباني السكنية.
- عدد المساجد المتضررة: 142
- عدد سيارات الإسعاف المتضررة: 121.
- عدد الجرحى الفلسطينيين ف غزة: ستين ألفا، وفي الضفة الغربية: أكثر من أربعة آلاف.
- عدد المهجرين في غزة: 1.9 مليون (85 بالمئة من سكان غزة).

هذه الآلة الطاغية التي تفتك وتدمر – ليل نهار- في كل شيء برا وبحرا وجوا، ثم وقفوا في محكمة العدل الدولية طبعا تعلمون القضية قدمتها حكومة جنوب أفريقيا الآن ، يقول محامو الكيان إن المقاومة هي التي أخطأت، هي التي اعتدت وارتكبت مجزرة في يوم السابع من أكتوبر طيب سلمنا لكم أن هناك مجزرة حدثت في يوم السابع من أكتوبر!!!

ولم يكن قبلها أي شيء هذا الكيان دولة مسالمة أليفة جميلة طيبة تبذل الخير والمعروف والسلام في كل بقعة من بقاع فلسطين ليس هناك أسرى وليس هناك قتلى وليس هناك اعتداء على أطفال وليس هناك إيقاف للناس على المعابر بالساعات ولا حبس للمرضى حتى لا يصلوا إلى المستشفيات وليس هناك اعتداء على المسجد الأقصى ولا على المرابطين فيه ولا منع للمصلين ليس هناك حصار على غزه ولا منع للماء والغذاء والدواء ليس هناك ترصد للناس يمينا وشمالا في كل حركاتهم كل هذا غير موجود والمقاومة ارتكبت هذا الذنب الكبير وهو المجزرة يوم أكتوبر!!!

فماذا فعلتم أنتم بداية من يوم الثامن من أكتوبر إلى يومنا هذا كم عدد القتلى كم عدد الشهداء كم عدد الجرحى ماذا فعلوا حينما دخلوا مستشفى الشفاء الذي

هو في التاريخ عمره أكبر من عمر الكيان نفسه أخرجوا الأطفال الخدج الأطفال في الحضانات خرجوهم فماتوا جميعا، وخرجوا الناس من العناية المركزة فماتوا جميعا، واضطر الناس تحت الضغط وتهديد السلاح لم يجدوا مكانا لدفن الشهداء إلا في فناء المستشفى، لأن الرصاص يرصد كل متحرك فتطلق عليه النار.

قالوا للناس هناك ممرات آمنة للنزوح من الشمال إلى الجنوب فترصدوا لهم في الطريق وقتلوهم بالطيران ...

قالوا لهم اذهبوا إلى مدارس الأونروا التابعة للأمم المتحدة فهاجموها وقتلوهم...

هدموا المساجد وقالوا فيها أسلحة وفيها أنفاق وهدموا الكنائس...

لم يبقوا لا شجر ولا حجر ولا مدر ولا صغير ولا كبير ثم يقفون أمام محكمة العدل الدولية ليبرروا أن كل هذا الإجرام سببه ما حدث يوم السابع من اكتوبر.

نحن يا اخواني أمام مأساة من أكبر المآسي في التاريخ البشري، والآلة العسكرية حينما تكون هي لغة الحوار بين الدول أو بين الأمم فإنها آلة طغيان وبغي وفساد وقتل ولا حول ولا قوة الا بالله.

رابعا/ أخلاق الحروب في الإسلام:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي-رحمه الله- عن أخلاق الإسلام في الحرب :
سياسة الإسلام في الحرب كالسلم ، لا تنفصل عن الأخلاق، فالحرب لا تعني إلغاء الشرف في الخصومة، والعدل في المعاملة، والإنسانية في القتال وما بعد القتال.

إن الحرب ضرورة تفرضها طبيعة الاجتماع البشري، وطبيعة التدافع الواقع بين البشر الذي ذكره القرآن الكريم بقوله:(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)[الحج 40] و(لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) [البقرة 251]
ولكن ضرورة الحرب لا تعني الخضوع لغرائز الغضب والحمية الجاهلية وإشباع نوازع الحقد والقسوة والأنانية.

إذا كان لا بد من الحرب، فلتكن حربا تضبطها الأخلاق، ولا تسيرها الشهوات، لتكن ضد الطغاة والمعتدين لا ضد البرآء والمسالمين.

قال تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة190]، و (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام، أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[المائدة :3]

إذا كان لا بد من الحرب، فلتكن في سبيل الله، وهو السبيل الذي تعلو به كلمة الحق والخير ـ لا في سبيل الطاغوت ـ الذي تعلو به كلمة الشر والباطل، قال تعالى: (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا).النساء 76

لتكن من أجل استنقاذ المستضعفين، لا من أجل حماية الأقوياء المتسلطين، قال تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا). النساء75

ولتتقيد الحرب بأخلاق الرحمة والسماحة، ولو كانت مع أشد الأعداء شنآنا للمسلمين، وعتوا عليهم.

وإذا كان كثير من قادة الحروب وفلاسفة القوة، لا يبالون أثناء الحرب بشيء إلا التنكيل بالعدو، وتدميره، وإن أصاب هذا التنكيل من لا ناقة له في الحرب ولا جمل، فإن الإسلام يوصى ألا يقتل إلا من يقاتل، ويحذر من الغدر والتمثيل بالجثث وقطع الأشجار، وهدم المباني، وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان المنقطعين للعبادة والمزارعين المنقطعين لحراثة الأرض.
وفي هذا جاءت آيات القرآن الكريم، ووصايا الرسول الكريم، وخلفائه الراشدين، ففي القرآن:(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين) البقرة 190

وفي السنة كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه إذا توجهوا للقتال بقوله: (اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا...)

وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم: ألا يقتلوا شيخا، ولا صبيا، ولا امرأة، وألا يقطعوا شجرا، ولا يهدموا بناء.

بل نهوهم أن يتعرضوا للرهبان في صوامعهم، وأن يدعوهم وما فرغوا أنفسهم له من العبادة.

ويذكر المؤرخون المسلمون أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه ـ في المعارك الكبرى التي دارت بين المسلمين والإمبراطوريتين العتيدتين فارس والروم ـ أرسل إليه رأس أحد قادة الأعداء من قلب المعركة إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وكان القائد يظن أنه يسر بذلك الخليفة، ولكن الخليفة غضب لهذه الفعلة لما فيها من المثلة، والمساس بكرامة الإنسان فقالوا له: إنهم يفعلون ذلك برجالنا فقال الخليفة في استنكار: آستنان بفارس والروم؟ لا يحمل إلى رأس بعد اليوم!

وبعد أن تضع الحرب أوزارها، يجب ألا ينسى الجانب الإنساني والأخلاقي في معاملة الأسرى وضحايا الحرب.

يقول الله تعالى في وصف الأبرار من عباده: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) [الإنسان :8]

خامسا/ الحروب بين سماحة الإسلام ودموية الغرب

يقول الدكتور راغب السرجاني : لو قمنا بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبويَّة -سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء- ثم قمنا بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، لوجدنا عجبًا!

لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله -وذلك على مدار عشر سنوات كاملة– 262 شهيدًا تقريبًا.
وبلغ عدد قتلى أعدائه حوالي 1022 قتيلاً ، وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين 1284 قتيلاً فقط! [8]

وحتى لا يتعلَّل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإنني قمتُ بإحصاء عدد الجنود المشتركين في المعارك، ثم قمتُ بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، فوجدتُ ما أذهلني:

---

[8] يقول الدكتور راغب السرجاني: اعتمدتُ في حصر الأرقام على ما ورد أوَّلاً في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، ثم على روايات كتب السيرة بعد توثيقها، كسيرة ابن هشام، وعيون الأثر، وزاد المعاد، والسيرة النبوية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وغيرهم.

- نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ 1% فقط.
- بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم 2%!
- وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي 1.5% فقط!
- إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة -بلغت خمسًا وعشرين أو سبعًا وعشرين غزوة، وثماني وثلاثين سريَّة [9]، أي أكثر من ثلاث وستِّين معركة- لَمِنْ أصدق الأدلَّة على عدم دمويَّة الحروب في عهد رسول الله .

- ولكي تتَّضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمتُ بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالميَّة الثانية -كمثال لحروب (الحضارات) الحديثة- فوجدتُ أن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضاريَّة بلغت 351%!!!، فالأرقام لا تكذب؛ فقد شارك في الحرب العالمية الثانية 15.600.000 جندي (خمسة عشر مليونًا وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ 54.800.000 قتيل (أربعة وخمسين مليونًا وثمانمائة ألف)!! أي أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة!

- وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعًا -وبلا استثناء- كانت تقوم بحروب إبادة للمدنيين، وكانت تُسْقِطُ الآلاف من الأطنان من المتفجِّرات على المدن والقرى الآمنة؛ فتُبيد البشر، وتُفني النوع الإنساني، فضلاً عن تدمير البِنَى التحتيَّة، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب! لقد كانت كارثة إنسانيَّة بكل المقاييس.

سادسا/ التوراة المحرفة تأمرهم بذلك:

اقرأوا معي لهذا النص الذي نقلته لكم من التوراة (المحرفة) وكيف يتعاملون مع غيرهم في القتال، والنص من سفر التثنية :(10-20) حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فان أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك)

---

[9] ابن كثير: السيرة النبوية 432/4، ابن قيم الجوزية: زاد المعاد 125/1، وابن حزم: جوامع السيرة 16/1.

بهذا الشكل الذي يدعو إلى سفك دماء الجميع واستعباد الجميع وانهاك كل معالم لحياة او مدنية في الارض ولا حول ولا قوة الا بالله!!!

إن أخطر شيء أن يكون الطغيان باسم الدين وأن يكون الاعتداء وسفك الدماء باسم الدين وهذا كله كذب على الله- سبحانه وتعالى- فالله بين في كتابه: (والله لا يحب الفساد) و (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)

فنحن نعيش في هذه الفترة العصيبة من تاريخ العالم هذا الواقع المرير وهذه الحرب التي تجري تحت سمع وبصر العالم ويسمع فيها أنات المرضى والجرحى والاطفال والصغار ويسمع فيها بكاء المكلومين من الأمهات ويسمع فيها زخات الرصاص الذي ينصب والصواريخ التي تنصب على المدنيين الأبرياء ثم بعد ذلك نجد من يدعي ان هذا كله حق لهذا الكيان الغاصب الغاشم الذي لا يرقب في صغير ولا كبير إلا ولا ذمة.

فالذي يحدث الآن في محكمة العدل الدولية خطوة غير مسبوقة ووسيلة من وسائل الضغط على هذا الكيان لإيقاف هذا العدوان الوحشي والهمجي وحتى يكون العالم على بينة وبصيرة من هذا الذي يحدث.

ولذلك أوصيكم بمتابعة الأحداث والمرافعات وانظروا كيف يفكر الطرف الآخر وكيف يحاول أن يظهر بصورة البريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب في هذه الحرب العجيبة التي نتابعها لحظة بلحظة.

أردت أن أوضح لكم من هذه المقارنة السريعة كيف تكون الحروب وأخلاق الحروب في الإسلام.

نسال الله العظيم الكريم جل وعلا أن يجعل لإخواننا بغزة فرجا قريبا وأن ينزل عليهم سكينته وأن يشملهم بلطفه وعفوه وكرمه اللهم آمين.

****

الخطبة الرابعة

في ظلال الإسراء والمعراج

عناصر الخطبة:

أولا/ متى حدثت معجزة الإسراء والمعراج ؟

ثانيا/ رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ثالثا/ هل الإسراء كان بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟

رابعا/ رحلة المعراج من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى .

خامسا/ فرضية الصلاة.

سادسا/موقف الناس من خبر الإسراء .

سابعا/ دروس وعبر من رحلة الإسراء والمعراج

الخطبة الرابعة

في ظلال الإسراء والمعراج

معجزة الإسراء والمعراج من المعجزات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وأعلى بها شأنه، وكانت تخفيفاً لألم رسول الله، وحزنه وما لاقاه من قومه من إعراض وأذى.

عناصر الخطبة:

أولا/ متى حدثت معجزة الإسراء والمعراج ؟

ثانيا/ رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ثالثا/ هل الإسراء كان بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟

رابعا/ رحلة المعراج من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى .

خامسا/ فرضية الصلاة.

سادسا/ موقف الناس من خبر الإسراء .

سابعا/ دروس وعبر من رحلة الإسراء والمعراج.

أولا/ متى حدثت معجزة الإسراء والمعراج ؟

ليس هناك تاريخ ثابت يحدد زمن حادثة الإسراء، والعلماء اختلفوا اختلافاً كبيراً في يوم الإسراء، وفي شهر الإسراء، وفي سنة الإسراء!!

قال السدي : كان الإسراء في شهر ذي القعدة.

قال الزهري : كان الإسراء في شهر ربيع الأول.

قال ابن عبد البر : كان الإسراء في شهر رجب.

قال النووي: كان الإسراء في شهر رجب.

وقيل: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وستة أشهر،

وقيل: كان الإسراء قبل الهجرة بثلاث سنين، حكاه ابن الأثير،

ومن ثم فإن اليوم والشهر والعام للإسراء لا يعلمه إلا الله.

والتحقيق أن الإسراء كان بعد البعثة وقبل الهجرة من مكة، وأغلب المشايخ في عصرنا الحالي يتجهون إلى القول بأنه كان في شهر رجب. [10]

ثانيا/ رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

كانت وسيلة الرحلة الأرضية البراق ، وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (دابة) فليس آلة مخترعة ، وحدد النبي لونه فقال: (أبيض) وحدد صفته، فقال: (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) له سرعة مذهلة!

والبراق من البريق، أي: من اللمعان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم حدد لونه بالبياض، وقيل: البراق من البرق، وهو الضوء السريع.

وورد عند الترمذي، والإمام أحمد في المسند، وعبد الرازق في مصنفه، والبيهقي في السنن من حديث أنس : (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انطلق ليركب البراق استصعب عليه، فقال جبريل للبراق: ما حملك على هذا؟ والله ما ركبك أحد من خلق الله أكرم على الله منه -أي: من الرسول صلى الله عليه وسلم)

---

[10] يكاد الباحث المنصف يعجز عن الوقوف على تاريخ واحد صحيح تطمئن إليه النفس لميقات ليلة الإسراء والمعراج ، وذلك لسبب بسيط هو كون هذه الليلة ليست معلومة على الوجه القطعي الجازم ، ولا يوجد اتفاق معتبر على ضبط تاريخها بين جماهير أهل العلم من المؤرخين وغيرهم ، فقد اختلفوا في السنة والشهر ، فضلاً عن الاختلاف الشديد في اليوم ، فالجزم بأنها ليلة السابع والعشرين من شهر رجب مما لا أصل له من الناحية التاريخية ، وقال الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي على موقعه الرسمي: (ذكر أحد أئمة الحديث ، وهو أبو الخطاب عمر بن دحية من أئمة القرن السابع ، وله كتاب اسمه "أداء ما وجب في بيان وضع الوضَّاعين في شهر رجب" ، وفي هذا كتب يقول : إن بعض القُصَّاص ذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُسري به في رجب ، قال : وهذا هو عين الكذب ، أقرّ هذا الكلام خاتمة الحفاظ الحافظ بن حجر العسقلاني شارح البخاري المعروف ، وأنا أعرف أن موضوع ليلة السابع والعشرين من رجب لم يأت فيها حديث صحيح ، ولا قول صحيح لأحد الصحابة ، إنما هو قول اشتهر ، وقال به بعض الأئمة ، ونُسب إلى الإمام النووي ، اختاره الإمام النووي في فتاواه – بل الصواب في : روضة الطالبين – ، والإمام النووي رجل كان مقبولاً عند الأمة ، فاشتهر قوله هذا ، على حين أن هناك مثلاً الإمام أبا إسحاق الحربي نجده يقول إن الإسراء والمعراج ليس في ليلة السابع والعشرين من رجب ، بل في ليلة السابع والعشرين من ربيع الأول ، وأنا أعلم أنه لم يثبت شيء في هذا ، وأن هذا قول اشتهر وأصبح معروفاً عند المسلمين منذ قرون أنهم يذكرون الإسراء والمعراج في هذه الليلة ..) ا.هـ

ركب النبي صلى الله عليه وسلم البراق وانطلق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في هذه الرحلة المباركة.

عنصر الإعجاز في رحلة الإسراء الأرضية هو الزمن، إذ كيف انطلق النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المسجد الأقصى في زمن قليل؟!

وهذا الذي أنكره المشركون في مكة، فقالوا: نضرب لها أكباد الإبل شهراً من مكة إلى بلاد الشام، وأنت تقول: بأنك انطلقت من مكة إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلى وعدت في جزء من الليل!

يقول الله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) [الإسراء:1]و(ليلاً) أي: في جزء من الليل (الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ): والعبد لغة: تطلق على الإنسان بروحه وبدنه، ولا يطلق لفظ العبد على الروح دون البدن (الذي أسرى بعبده ليلاً) والسري: هو السير ليلاً (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الإسراء:1]

وختمت الآية بقوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ولم يقل: (إنه على كل شيء قدير)، (إنه عزيز حكيم) ليظهر عظمته وقدرته، وإنما قال (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) أي: الذي سمع قول قومك لك، ورأى فعل قومك بك فأراد أن يكرمك وأن يشرفك.

أي: إذا كان الفعل من الله فنزهوا فعل الله عن فعلكم، ونزهوا صفات الله عن صفاتكم، ونزهوا قول الله عن قولكم.

ثالثا/ هل الإسراء كان بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟

الذي عليه جماهير السلف والخلف من أئمة الأمة وعلمائها أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً، يقظة لا مناماً.

يقول ابن حجر : وإلى هذا -يعني: الإسراء والمعراج بالروح والجسد- ذهب جمهور الأمة من العلماء المحدثين، والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة.

ومثله قال ابن القيم في زاد المعاد، قال العلماء: وهذا هو الذي تطمئن إليه النفس -يعني: أن الإسراء بالروح والجسد، يقظة لا مناماً- ويرتاح إليه القلب، إذ لو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط، وكان المقصود رؤيا منامية لم يستبعد المشركون ذلك، ولم ينكروه على النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان في ذلك آية ولا معجزة، فـ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا .

وعلى سبيل المثال : لو أني قلت لك الآن: لقد رأيت بالأمس في نومي أني ذهبت إلى مكة، وطفت بالبيت ، ومشيت بين الصفة والمروة ثم انطلقت إلى المدينة وعدت بعد ذلك، هل ستنكر علي؟

لن تنكر علي؛ لأنني أقول لك: رأيت في الرؤيا.. رأيت فيما يرى النائم، فلو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: إنها رؤيا نوم ما أنكر المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

وكما يقول الشيخ الشعراوي: لو أنني حملت طفلي الرضيع وصعدت به إلى قمة جبل من الجبال، ثم قلت لكم: لقد صعدت بولدي إلى قمة هذا الجبل، هل سيسأل عاقل طفلي الرضيع ويقول: كيف صعدت أيها الطفل هذا الجبل؟!

إن الذي أسرى به هو الله، فلا تسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن إسرائه، وإنما إن شئتم فاسألوا الذي أسرى به جل وعلا.

والقاعدة تقول: إن الزمن يتناسب تناسباً عكسياً مع القوة أو القدرة، بمعنى: لو ركبت سيارة إلى القاهرة فستقطع بك المسافة في زمن معين، ولو ركبت طائرة ستقطع بك المسافة في زمن أقل، فلو ركبت صاروخاً سيقطع بك المسافة في زمن أقل، فإن ركبت مركبة فضاء ستقطع بك المسافة في زمن أقل، وهكذا يقلّ الزمن مع قوة القدرة التي تحملك إلى هذا السفر، وإذا علمت ذلك فاعلم أن القوة التي حملت المصطفى هي قوة الله.

رابعا/ رحلة المعراج من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى :

بدأت الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قدم له جبريل إناءين: إناءً من لبن، وإناءً من خمر، فاختار النبي صلى الله عليه وسلم اللبن، فقال له جبريل: قد أصبت الفطرة يا محمد!

رحلة المعراج:

والمعراج: هو السلم الذي يصعد عليه، قال ابن إسحاق : أخبرني من لا أتهمه عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه)

أي: أن الميت في ساعة الاحتضار يمد عينيه إلى السماء يشاهد المعراج؛ حيث سيعرج بروحه إلى السماء، (وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا

احتضر، فأصعدني فيه صاحبي -يعني: جبريل عليه السلام- حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء).

فالأمر ليس كما يظنه كثير من الناس أنه صلى الله عليه وسلم ركب البراق إلى بيت المقدس، ثم ركبه إلى السماء، بل لما وصل إلى بيت المقدس ربط البراق بباب المسجد ثم دخل، ثم صعد على المعراج إلى السماء، ولما عاد ركب البراق إلى مكة ثانية .

وهنا نرجع مرة أخرى إلى حديث أنس في صحيح البخاري . يقول: (ثم انطلق بي جبريل حتى أتى السماء الأولى فاستفتح، فقيل: من؟

قال: جبريل، قيل: ومن معك؟

قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم)،

وقول الملائكة: (أوقد بعث إليه) أي: هل بعث إليه ليصعد إلى الملأ الأعلى،

قال: نعم، قيل: فمرحباً به فنعم المجيء جاء،

يقول: وإذا آدم عليه السلام، فيقول جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فيقول المصطفى: فسلمت عليه في السماء الأولى فرحب بي، ورد علي السلام، ودعا لي بخير وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح،

يقول: ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فرأيت عيسى ويحيى ابنا الخالة، فقال جبريل: هذا يحيى وعيسى سلم عليهما، فسلم النبي عليهما فردا عليه السلام، وقالا له: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ودعيا للنبي بخير.

يقول: ثم صعد بي حتى أتى السماء الثالثة يقول: فإذا يوسف، فقال جبريل: هذا يوسف فسلم عليه، فسلم النبي عليه وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح إلى آخره،

ثم قال له إدريس في الرابعة مثل ذلك،

ثم قال له هارون في الخامسة مثل ذلك،

ثم قال له موسى في السادسة مثل ذلك،

ثم قال له إبراهيم في السابعة، مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، كما قال آدم عليه السلام،

يقول المصطفى: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى كما في قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم:1-14])

الرائي هو محمد، والمرئي هو جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، رآه النبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته التي خلقه الله عز وجل عليها. يقول: (فرفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا نبقها كقلال هجر) ، الثمرة من النبق -الثمر المعروف- كقلال هجر، ضخامة.

(وإذا ورقها كآذان الفيلة)، جمع فيل.

(وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقال المصطفى: ما هذا يا جبريل؟! فقال جبريل: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران، فالنيل والفرات).

يقول صلى الله عليه وسلم: (ثم رفع لي البيت المعمور)، والبيت المعمور بناء كالكعبة، وهو بمحاذاة بيت الله الحرام، بمعنى: لو خر البيت المعمور لخر على الكعبة، والبيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون، فإن غفلت عن الذكر فعنده من يذكره جل وعلا، لا يغفلون عن ذكره ولا يفترون: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ [الأنبياء:20].

خامسا/ فرضية الصلاة

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟

قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله،

فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله

فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله،

فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟

قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأُسَلِّم، قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي» رواه البخاري.

وقت صلاة النبي بالأنبياء في بيت المقدس؛ هل كان ذلك حين ذهابه أو حين رجوعه؟

الظاهر من الأخبار: أنه صلى بهم بعد رجوعه من المعراج ، فلما رجع هبط معه الأنبياء تكريماً له وتعظيماً، فهو قد التقاهم في السماء، وكان جبريل يعرفه بهم، فكان يقول: هذا فلان فيسلم عليه، فهذا إدريس! وهذا يوسف! وهذا هارون! وهذا موسى! وهذا عيسى!

فلو كان اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى التعرف إليهم مرة ثانية حين عرج به إلى السماء، ومما يدل على أنه صلى بهم حين عودته: أنه قال في الحديث: (فلما حانت الصلاة أممتهم) ولم يحن وقت صلاة حين ذاك إلا صلاة الفجر، فصلى الأنبياء خلف سيد الأنبياء والمرسلين، فعرف الأنبياء أن هذا هو إمام الأنبياء !

ثم ركب البراق وعاد إلى مكة.

سادسا/ موقف الناس من خبر الإسراء [11]

---

[11] هل ارتد أحد من الصحابة بعد حادث الإسراء والمعراج ؟ الجواب من الشيخ سعد بن عبد الله الحميد باختصار أستاذ الحديث بكلية التربية بجامعة الملك سعود نقلا عن موقع طريق الإسلام باختصار؛ قال: لا يصح أنَّ أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ارتدَّ بعد حادثة الإسراء، ولم يَرِد ذلك صراحة إلا في حديث منكر، أخرجه الحاكم [3/ 62-63] وغيره، من طريق: محمد بن كثير الصنعاني، عن معمر بن راشد، عن ابن شهاب الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: لما أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا به وصدّقوه... الحديث؛ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه؛ فإن محمد بن كثير صدوق، والحاكم -كما هو معلوم- انتُقِدَ كثيرًا على أحكامه على الأحاديث في المستدرك، ويظهر انتقاده هنا بوضوح؛ فإن محمد بن كثير هذا لم يخرّج له أحدُ الشيخين شيئًا، ومع هذا فهو مضَعَّف من قِبَل حفظه، ويشتد ضعفه إذا روى عن

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته الميمونة أخبر قومه بذلك فقال لهم: «إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وأتيت بيت المقدس، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى وصليت بهم وكلمتهم» فقال أبو جهل كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال:

«أما عيسى، ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد، أشعر تعلوه صهبة (لون يميل إلى حمرة أو شقرة) ، كأنه عروة بن مسعود الثقفي.

وأما موسى فضخم آدم(أسمر البشرة) طوال، كأنه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، خارج اللثة، عابس.

وأما إبراهيم فو الله إنه لأشبه الناس بي، خَلقا وخُلقا.

فقالوا: يا محمد فصف لنا بيت المقدس، قال: «دخلت ليلاً، وخرجت ليلاً» فأتاه جبريل بصورته في جناحه، فجعل يقول: «باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا».

معمر، وهذا من روايته عنه. قال عبدالله ابن الإمام أحمد: ذكر أبي محمدَ بن كثير فضعّفه جدًّا، وضعّف حديثه عن معمر جدًّا، وقال: هو منكر الحديث، وقال: يروي أشياءَ منكرة. اهـ (من تهذيب الكمال[331 /26])

فهذا ما يتعلق بالرواية من حيث السندُ، أما نقدها من حيث المتنُ، فهي منكرة؛ للأسباب التالية:

(1)حديث أبي سفيان مع هرقل، وفيه سؤال هرقل لأبي سفيان –وكان حين ذلك مشركًا–: هل يرتد أحدٌ منهم –يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم– سُخطةً لدينه بعد أنْ يدخله؟ قال أبو سفيان: لا. فلو كانت حادثة الارتداد عن الإيمان صحيحة؛ لما أقرّ أبو سفيان بذلك؛ بل كان يقول له: نعم، هناك من ارتدّ عن الإيمان به لما حصل كذا وكذا.

(2)أن الصحابة كانوا وقت حادثة الإسراء قلة قليلة، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وحُفِظت لنا كل الحوادث التي مرت بهم في تلك الفترة، فنُقِلَ إلينا خبر إسلامهم وتعذيبهم، وهجرتهم الأولى والثانية إلى الحبشة، ومَن مات منهم، ومَن وُلِد له، كلُّ ذلك باسم كلٍّ منهم، فلا يعقل أن يحدث لأحد منهم هذا الحدث –وهو الردة عن الإسلام–، ثم لا ينقل لنا اسم أحد من هؤلاء المرتدين، فلم يُسمَّ لنا –من طريق صحيح أو ضعيف– اسم شخص على أنه ممن ارتد بعد حادثة الإسراء، ومعلوم أنه لا يمكن أنْ تُنْقَل لنا أحداثٌ أقل من هذا شأنًا، ويُتْرَك ذِكْر ذلك.

فعُلِمَ من ذلك كله عدم صحة هذه الحادثة، والله أعلم.

ثم سألوه عن عيرهم فقال لهم: «أتيت على عير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية-

«ثم انتهيت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق (ما يوضع فيه المتاع على ظهر الجمل)، مخطط ببياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية!!

«ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم، يقدمها جمل أورق (فيه بياض وسواد)وها هي تطلع عليكم من الثنية(طريق جبلي)»

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر فانطلقوا فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال.

وسعوا بذلك إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس.

قال: أَوَقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه، أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟

قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق.

سابعا/ دروس وعبر من رحلة الإسراء والمعراج

لقد اشتمل الإسراء على دروس وعبر أهمها:

أولاً: إثبات القدرة الإلهية، وأنه لا يستعصي على قدرته شيء:

لهذا قال: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا أي: تنزه عن كل نقص وعيب، إنها قدرة لا يقف أمامها حدود، ولا تعطل سيرها سدود، قال تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [النحل:40].

إن أبعد نجم أدركه الفلكيون في السماء الدنيا يبعد عنا مسافة تقدر بحوالي 36 بليون سنة ضوئية، والسنة الضوئية تقدر بنحو (9،5 مليون مليون كم.)

بمعنى أنه لو فرضنا جدلا أن الإنسان تمكن من صنع مركبة فضائية تتحرك بسرعة الضوء (وهذا مستحيل) فإنه سوف يحتاج إلى 36 بليون سنة ليصل إلى آخر ما نرى من نجوم السماء الدنيا. فما بالنا بست سموات فوق ذلك إلى

سدرة المنتهى، حيث شرف المصطفى- صلى الله عليه وسلم- بالمثول بين يدي ربه، وتلقى منه الأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة.

ثانياً: عموم رسالته صلى الله عليه وسلم:

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء إمامًا في بيت المقدس في ليلة الإسراء والمعراج، وفي هذا دلالات منها أن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، ودليل على عالمية الإسلام، وعموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه حامل لواء الهداية للخلق جميعًا، تحمَّلها رسول الله بأمانة وقوة، وقام بحقها على خير وجه، ثم ورَّثها لأمته من بعده، وبذلك أصبحت خير أمة أخرجت للناس، ومسئولة عن إقامة حُجَّة الله على خلقه جميعًا، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143].

ثالثاً: فضل وأهمية الصلاة:

لقد فرضت الصلاة من بين أركان الإسلام في السماء السابعة، وفي هذا دليل على أهمية هذه الرحلة العظيمة وأهمية الصلاة، وعظمها في الإسلام؛ ولذلك شدّد الإسلام عليها كل التشديد، وأمر بالقيام بها في السفر والحضر، والأمن والخوف، والصحة والمرض.

وهي على ذلك تعتبر معراج المسلم إذا أدى حقها بالخشوع والاطمئنان المطلوبين، حتى يستشعر لذة مناجاة الله في الصلاة.

رابعا / فضل ومكانة الرسول صلى الله عليه وسلم:

التأكيد على مقام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عند رب العالمين ، فهو أحب خلق الله إلى الله- تعالى-، ولذلك أوصله إلى مقام من السماء لم يصل إليه غيره من البشر، ووضعه على رأس سلسلة الأنبياء والمرسلين، وهو خاتمهم أجمعين، ولذلك صلى بهم إماما في القدس الشريف تأكيدا على مقامه عند رب العالمين ؛ وعلى نسخ شريعته الخاتمة لجميع شرائعهم.

وفي ذلك إشارة إلى من يدعون إتباع نبي من الأنبياء السابقين إلى ضرورة الإيمان بهذا النبي الخاتم، وبالقرآن الكريم الذي أوحى إليه واتباع الدين الذي جاء به، كما تبعه جميع أنبياء الله ورسله في الصلاة بالمسجد الأقصى، إعلانا بعموم رسالته التي اكتمل بها الدين، وتمت بها النعمة التي أصبحت واجبة على الخلق أجمعين.

خامسا / الإسلام دين الهداية والفطرة:

من أحداث تلك الليلة المباركة أن رسول الله قد اختار إناء اللبن وشرب منه، جاء في الحديث أن جبريل قال له عندما أخذ اللبن: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ. قال القرطبي: يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة؛ لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه، والسر في ميل النبي إليه دون غيره؛ لكونه كان مألوفًا له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة. وفي رواية: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

إن سلامة الفطرة هي لب الإسلام؛ لأن عقيدته وشريعته وأحكامه كلها تتناسب مع مقتضيات الفطرة التي خلق الله الناس عليها، قبل أن تدنسها الشهوات والأطماع والأغراض الذاتية، وقد وصف الله هذا الدين بأنه دين الفطرة في قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[الروم: 30].

سادسا/ التأكيد على أن الابتلاءات هي من سنن أصحاب الدعوات :

في كل زمان ومكان، وأنها من وسائل التطهير والتزكية للنفس الإنسانية، وعلى ذلك فإنه يجب على المسلم ضرورة الالتجاء إلى الله- تعالى- في كل شدة، واليقين بأنه إذا انقطعت حبال الناس فإن حبل الله المتين لا ينقطع أبدا ما دام العبد متوكلا على الله حق التوكل، وأنه ليس بعد العسر إلا اليسر.

سابعا / فضل المسجد الأقصى ومكانته في قلوب المسلمين:

قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى [الإسراء:1] قال القاسمي: والأقصى بمعنى: الأبعد، سمي بذلك لبعده عن مكة، وفي قوله: الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ [الإسراء:1] أي: جوانبه، وذلك ببركات الدنيا والدين؛ لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء، ومهبط وحيهم، ومنمى الزروع والثمار.

ومن فضائله: ما رواه أحمد والحاكم والنسائي وصححه الحاكم عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، وإني أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد - يعني: بيت المقدس- إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه) قال النبي صلى الله

عليه وسلم: (ونحن نرجو أن يكون الله قد أعطاه هذا)، قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح.

لماذا لم يعرج برسول الله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة من المسجد الحرام إلى السموات العلا؟

هذا يدلنا على أن المرور ببيت المقدس، كان مقصوداً، والصلاة بالأنبياء الذين استقبلوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيت المقدس، وأنه أمّهم، هذا له معناه ودلالته، أن القيادة قد انتقلت إلى أمة جديدة وإلى نبوة جديدة، إلى نبوة عالمية ليست كالنبوات السابقة التي أرسل فيها كل نبي لقومه، هذه نبوة عامة خالدة لكل الناس، رحمة للعالمين، ولجميع الأقاليم ولسائر الأزمان، فهي الرسالة الدائمة إلى يوم القيامة عموم هذه الرسالة وخلودها كان أمراً لا بد منه، وهذه الصلاة بالأنبياء تدل على هذا الأمر، والذهاب إلى المسجد الأقصى، وإلى أرض النبوات القديمة، التي كان فيها إبراهيم، وإسحاق وموسى وعيسى إيذان بانتقال القيادة.. القيادة انتقلت إلى الأمة الجديدة وإلى الرسالة العالمية الخالدة الجديدة.

****

الخطبة الخامسة

الإسراء والمعراج بمقاييس العلم الحديث

عناصر الخطبة:

أولا/ سبحان الذي أسرى بعبده.

ثانيا/ هل الإسراء كان بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟

ثالثا / الإسراء والمعراج دلالة على قدرة الله جل جلاله.

. رابعا/ الصعود للقمر واتساع آفاق الكون

خامسا / البث المباشر ووصف النبي للمسجد الأقصى

الخطبة الخامسة

الإسراء والمعراج بمقاييس العلم الحديث

عناصر الخطبة:

أولا/ سبحان الذي أسرى بعبده.

ثانيا/ هل الإسراء كان بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟

ثالثا / الإسراء والمعراج دلالة على قدرة الله جل جلاله.

رابعا/ الصعود للقمر واتساع آفاق الكون .

خامسا / البث المباشر ووصف النبي للمسجد الأقصى .

سادسا / لماذا لم يحدث الإسراء نهاراً؟

أولا/ سبحان الذي أسرى بعبده

جاء حادث الإسراء والمعراج ليرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حفاوة الملأ الأعلى بعد ما أصابه من أذى البشر في رحلة الطائف.

يقول الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) [الإسراء1:]

ومعنى (سبحان) : أي تنزيهاً لله تعالى تنزيهاً مطلقاً، أن يكون له شبه أو مثيل فيما خلق، لا في الذات، ولا في الصفات ، ولا في الأفعال.

وكلمة (سبحان) جاءت هنا لتشير إلى أن ما بعدها أمر خارج عن نطاق قدرات البشر، ، أو أن تخضع فعله لقوانين البشر ؛ فهو متعلق بقدرة الله عز وجل ، وإدراك هذه المعجزة التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقوله(أسرى) من السري، وهو السير ليلاً.

وقوله سبحانه(بعبده) أي: أسرى به؛ لأنه صادق العبودية لله، فالإسراء

والمعراج عطاء من الله استحقه رسوله بما حقق من عبودية لله.

(ليلاً) وقد اللفظ جاء نكرة للتقليل أي بعضا من الليل ومن المعلوم أنه بعد مفارقة الغلاف الجوي المحيط بالأرض هنالك ظلام تام كما في قوله تعالى: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29)) النازعات
أغطش : أظلم

ثانيا/ هل الإسراء كان بالروح فقط أم بالروح والجسد ؟

الذي عليه معظم السلف والخلف من أئمة الأمة وعلمائها أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً، يقظة لا مناماً.

يقول ابن حجر : وإلى هذا -يعني: الإسراء والمعراج بالروح والجسد- ذهب جمهور الأمة من العلماء المحدثين، والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة.

ومثله قال ابن القيم في زاد المعاد، قال العلماء: (وهذا هو الذي تطمئن إليه النفس) يعني: أن الإسراء بالروح والجسد، يقظة لا مناماً (ويرتاح إليه القلب، إذ لو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط، وكان المقصود رؤيا منامية لم يستبعد المشركون ذلك، ولم ينكروه على النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان في ذلك آية ولا معجزة، فـ(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا.)

وعلى سبيل المثال : لو أني قلت لك الآن: لقد رأيت بالأمس في نومي أني ذهبت إلى مكة، وطفت بالبيت ، ومشيت بين الصفا والمروة ثم انطلقت إلى المدينة وعدت بعد ذلك، هل ستنكر علي؟

لن تنكر علي؛ لأنني أقول لك: رأيت في الرؤيا.. رأيت فيما يرى النائم،
فلو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: إنها رؤيا نوم ما أنكر المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

وكما يقول الشيخ الشعراوي : هب أن قائلاً قال لك: أنا صعدت بابني الرضيع قمة جبل إفرست، هل تقول له: كيف صعد ابنك الرضيع قمة إفرست؟ هذا سؤال إذن في غير محله، وكذلك في مسألة الإسراء والمعراج يقول تعالى: أنا أسريت بعبدي، فمن أراد أن يحيل المسألة وينكرها، فليعترض على الله صاحب الفعل لا على محمد.

ثالثا / الإسراء والمعراج دلالة على قدرة الله جل جلاله

والقاعدة تقول: إن الزمن يتناسب تناسباً عكسياً مع القوة أو القدرة، بمعنى: لو ركبت سيارة إلى القاهرة فستقطع بك المسافة في زمن معين، ولو ركبت طائرة ستقطع بك المسافة في زمن أقل، فلو ركبت صاروخاً سيقطع بك المسافة في زمن أقل، فإن ركبت مركبة فضاء ستقطع بك المسافة في زمن أقل، وهكذا يقلّ الزمن مع قوة القدرة التي تحملك إلى هذا السفر، وإذا علمت ذلك فاعلم أن القوة التي حملت المصطفى هي قوة الله.

فإن قال قائل: مادام الفعل مع الله لا يحتاج إلى زمن، لماذا لم يأت الإسراء لمحة فحسب، ولماذا استغرق ليلة؟

نقول: لأن هناك فرقاً بين قطع المسافات بقانون الله سبحانه وبين مراء عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق، فرأى مواقف، وتكلم مع أشخاص، ورأى آيات وعجائب، هذه هي التي استغرقت الزمن.

حين تنسب الفعل إلى فاعله يجب أن تعطيه من الزمن على قدر قوة الفاعل. إذن لما تضاف القوة إلى الله العلى الأعلى القادر المقتدر كم تأخذ من الزمن ؟ الله جل وعلا يقول : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر)[القمر 50]، وقال تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل 40]

فأمر الله لا يحتاج لزمن ، الزمن للمخلوق وفقا للقوانين البشرية ؛ قوانين الحركة والانتقال ، لكن لما تتكلم عن قدرة الله فالله جل وعلا لا يحتاج لزمان لإيجاد شيء من العدم لطلاقة قدرته وكمال عظمته.

زمن الفيمتو ثانية بالإنجليزية Femtosecond

في موسوعة ويكبيديا كلاما مفاده عن الفيمتو ثانية :

والفيمتو كلمة دانماركية تعني الرقم 15؛ والسر في هذه التسمية أنهم توصلوا لكاميرا عالية الدقة تتمكن من التقاط ما يحدث في جزء من مليون مليار جزء من الثانية، والمليون ستة أصفار والمليار تسعة أصفار المجموع 15صفر فمن هنا سموها الفيمتو ثانية ، وأول استخدام عملي لهذه الفترة الزمنية بالغة الضآلة كان ابتكار نظام تصوير من قبل العالم المصري أحمد زويل يرصد حركة الجزيئات عند تكوينها وعند تكوين روابط كيميائية بين بعضها ببعض والوحدة الزمنية التي تلتقط فيها هذه الصورة هي الفيمتو ثانية، وذلك حينما أراد أن يصور بالضبط ما يحصل خلال التفاعلات الكيميائية وقد كان هذا

الشيء مستحيلا من قبل لأن هذه التفاعلات تحدث بسرعة كبيرة جداً وعند تسليط الضوء على هذه التفاعلات يسبب الضوء تشتت الإلكترونات فلا يمكن حينها تصوير تفكك الروابط بين المركبات أو إعادة ترابطها معا ولكن تمكن زويل من تسليط أشعة الليزر على التفاعلات وتصويرها بكاميرات دقيقة تمكنت من التقاط ما يحدث في جزء من مليون مليار جزء من الثانية.

هذا إدراك بشري يستطيع أن يرصد بكاميرا دقيقة جدا جدا هذا الزمن الذي يعجز العقل عن إدراكه (مليون مليار)جزء من الثانية ؛ فلما نتكلم عن قدرة الله وأنه أسرى بعبده وانتقل به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم من الأقصى إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى عندها ندرك عظمة الله جل جلاله وقدرته التي لا تحدها حدود.

رابعا/ الصعود للقمر واتساع آفاق الكون:

بعد رحلة الصعود للقمر التي قامت بها أمريكا وما زالت تفتخر بها وكالة ناسا الفضائية ، وبدأوا وقتها يتكلمون عن غزو الفضاء ، ومع مرور الوقت وبعد الطفرة العلمية والفلكية في معرفة الكون تبين لهم أن القمر ضاحية من ضواحي الأرض ، ثم اكتشفوا أن الكرة الأرضية عبارة عن رأس دبوس صغير في هذا الكون الواسع ، حتى قال أحد علماء الفلك حينما سئل كم تمثل الأرض بالنسبة للكون ؟ فأجاب : الكون مثل مكتبة فيها مليون مجلد تمثل الأرض نقطة فوق حرف من كتاب من كتب هذه المكتبة!!

قلت : وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) دنيانا هذه بكل ما فيها من أراضي وبحار وجبال وأموال وبلدان ومدن ... والتي يعيش الملايين لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة!!!

أرأيتم أرضنا التي تبدو لنا واسعة كم هي ضئيلة وصغيرة؟!

ليس في الكون كلّه بل في مجموعتنا الشمسيّة التي تحوي تسع كواكب ، والتي تعتبر ضئيلة للغاية في مجرّة درب التبّانة (أو اللبانة)؟ والتي تحوي ما بين 200 إلى 400 بليون نجم ، ويبلغ عرضها أكثر من مئة ألف سنة ضوئيّة (سرعة الضوء = 300000 كلم / ثانية أو مليار كم في الساعة.
وكان العلماء يعتقدون أنّ هناك مجرّة واحدة وهي التي يوجد فيها كوكبنا ومجموعتنا الشمسيّة .. لكن بتطوّر العلم اكتشفوا أنّ الكون يعجّ بالمجرّات وأنّ عدد ما اكتشفوه حتى الآن 100 مليون.
فقياس معجزة الإسراء والمعراج بالقدرة الإلهية يبين لنا عظمة الله جل

وعلا ، ولك أن تسرح بخيالك عن المسافة التي بلغ بها النبي العروج من المسجد الأقصى إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى كم تبلغ هذه المسافة بالسنين الضوئية ؟!!

ولذلك أقول : إن المعجزات لا تؤخذ بالعقول وإنما بالإيمان لأنه أمر تطيش معه العقول.

خامسا / البث المباشر ووصف النبي للمسجد الأقصى:

وفي عصرنا الحالي نرى الأحداث العالمية تعرض على قنوات التلفزة من خلال البث المباشر ونجد مكتوبا في أعلى الشاشة كلمة (live) لنتابع الحدث لحظة بلحظة، وقد حدث هذا لنبينا صلى الله عليه وسلم حينما طلبت منه قريش وصف المسجد الأقصى فنقلت للنبي صورة حياة مباشرة فقريش تسأل والنبي أمام ناظريه المسجد الأقصى فيجيب!!

عن جَابِرَ بْن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ) رواه البخاري ومسلم

وقد استقبل أهل مكة هذا الحدث استقبال المكذب؛ فقالوا: كيف هذا ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً، وهم كاذبون في قولهم؛ لأن رسول الله لم يدع أنه سرى بل قال: أسرى بي.

ومعلوم أن قطع المسافات يأخذ من الزمن على قدر عكس القوة المتمثلة في السرعة.

أي: أن الزمن يتناسب عكسياً مع القوة، فلو أردنا مثلاً الذهاب إلى أي بلد سيختلف الزمن لو سرنا على الأقدام عنه إذا ركبنا سيارة أو طائرة، فكلما زادت القوة قل الزمن، فما بالك لو نسب الفعل والسرعة إلى الله تعالى، إذا كان الفعل من الله فلا زمن.

سادسا / لماذا لم يحدث الإسراء نهاراً؟

حدث الإسراء ليلاً، لتظل المعجزة غيباً يؤمن به من يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو ذهب في النهار لرآه الناس في الطريق ذهاباً وعودة، فتكون المسألة ـ إذن ـ حسية مشاهدة لا مجال فيها للإيمان بالغيب.

لذلك لما سمع أبو جهل خبر الإسراء طار به إلى المسجد وقال: إن صاحبكم

يزعم أنه أسرى به الليلة من مكة إلى بيت المقدس، فمنهم من قلب كفيه تعجباً، ومنهم من أنكر.

أما الصديق أبو بكر فقد استقبل الخبر استقبال المؤمن المصدق، ومن هذا الموقف سمي الصديق، وقال قولته المشهورة: إن كان قال فقد صدق. إذن: عمدته أن يقول رسول الله، وطالما قال فهو صادق، هذه قضية مسلم بها عند الصديق رضي الله عنه. ثم قال: إنا لنصدقه في أبعد من هذا، نصدقه في خبر السماء (الوحي)، فكيف لا نصدقه في هذا؟

إذن: الحق سبحانه جعل هذا الحادث محكاً للإيمان، وممحصاً ليقين الناس، حين يغربل من حول رسول الله، ولا يبقى معه إلا أصحاب الإيمان واليقين الثابت الذي لا يهتز ولا يتزعزع.

لذلك قال تعالى في آية أخرى: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس } الإسراء 60

وهذا دليل آخر على أن الإسراء لم يكن مناماً، فالإسراء لا يكون فتنة واختباراً إلا إذا كان حقيقة لا مناماً، فالمنام لا يكذبه أحد ولا يختلف فيه الناس.

لكن لماذا قال عن الإسراء (رؤيا) يعني المنامية، ولم يقل رؤية يعني البصرية؟ قالوا: لأنها لما كانت عجيبة من العجائب صارت كأنها رؤيا منامية، فالرؤيا محل الأحداث العجيبة.[12]

****

[12] فكرة الخطبة من كتاب المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج للشيخ الشعراوي- رحمه الله- مع تصرف يسير وبعض الإضافات من موسوعة ويكيبديا

الخطبة السادسة

قصة ماشطة ابنة فرعون

عناصر الخطبة:

أولا/ قصة ماشطة بنت فرعون.

ثانيا / دروس وعبر من القصة.

الخطبة السادسة

قصة ماشطة ابنة فرعون

عناصر الخطبة:

أولا/ قصة ماشطة بنت فرعون.

ثانيا / دروس وعبر من القصة.

أولا/ قصة ماشطة بنت فرعون.

في سير الصالحين تذكرة لأولي الألباب، وهذه قصة سطرتها امرأة مؤمنة أمام أعظم طاغية، إنه فرعون الذي ادعى الألوهية، حتى حكا الله عنه أنه قال : (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى] (النازعات:24]، وقال متوعدا كليم الله موسى - عليه السلام :-(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) [الشعراء:29]

أمام هذا الطاغية وقفت هذه المرأة المؤمنة التي لا نعرف اسمها لكن خلد الله ذكرها وثباتها ، وانتشر طيب صنيعها في الأرض وطيب ريحها في السماء، حتى وجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طيب رائحته في رحلة الإسراء والمعراج.

إنها امرأة ضحت بأعز ما تملك في دنياها، ضحت بنفسها وبأبنائها، كانت خادمة تخدم بنت فرعون الطاغية، إلا أن الله -تعالى- حفظ اسمها وأعلى شأنها أكثر من أسماء ملوك وسلاطين كثير من أهل الأرض.

وسُميت بذلك لأنها كانت تمشط بناته أي أنها كانت تقوم بتزيينها .

وقد وردت قصتها في حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا ، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟

فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا ،

قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟

قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ،

فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟

قَالَتْ : لا ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ ،

قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ! قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْبَرَتْهُ ،

فَدَعَاهَا فَقَالَ : يَا فُلانَةُ ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟

قَالَتْ : نَعَمْ ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ،

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا ،

قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا حَاجَتُكِ ؟

قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا ، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ ،

قَالَ : فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ ،

قَالَ : يَا أُمَّهْ ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ)[13]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ.

أخرجه الإمام أحمد في المسند وقال ابن كثير في التفسير إسناده لا بأس به ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (295/4) ، وقال الأرناؤوط في تخريج المسند (30/5 – 31 رقم 2821) : إسناده حسن

---

[13] أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (309/1) ، والحاكم. (2/496) قال الذهبي في " العلو " (84) عن: " هذا حديث حسن الإسناد "، وقال ابن كثير في" التفسير " (15/3) : " إسناده لا بأس به " ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (295/4) ، وقال الأرناؤوط في تخريج المسند (30/5 – 31 رقم 2821) : " إسناده حسن ، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة. وبهذا يتبين أن هذه القصة صحيحة ثابتة عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

(المِدْرَى) : هي حديدة يسوَّى بها شعر الرَّأس.

(فأمَر ببَقَرة من نُحاس فأُحْمِيت) : قال ابن الأثير في النهاية (145/1) : قال الحافظ أبو موسى : الذي يقَعُ لي في معناه أنه لا يريد شيئاً مَصُوغا على صورة البَقرة ، ولكنَّه ربَّمَا كانت قِدرا كبيرةً واسعة ، فسماها بقرة ، مأخوذا من التَّبقُّر : التوسع ، أو كان شيئاً يَسع بقَرة تامَّة بِتَوابِلِها فسمِّيت بذلك.

ثانيا / دروس وعبر من القصة

قصة ماشطة ابنة فرعون تحمل العديد من الدروس والعبر التي تعكس قوة الإيمان والصبر على الابتلاء.
وفيما يلي بعض الدروس والعبر المستفادة من هذه القصة:

1. **قوة الإيمان والثبات على الحق:**
ماشطة ابنة فرعون واجهت أعظم طاغية في زمانها ولم تتردد في إعلان توحيد الله، رغم علمها بعاقبة ذلك؛ فالإيمان الراسخ يجعل المؤمن يتحدى أشد أنواع الظلم والطغيان.

2- **الصبر على البلاء:**

يبتلى المرء على قدر دينه، وهذه المرأة الصالحة قدمت حياتها وحياة أبنائها في سبيل الله، وهو قمة الصبر والثبات على الدين.

3- **كرامة من الله بإنطاق الرضيع لتثبيتها:**
عندما ألقي زبانية الطاغية بأبنائها واحداً تلو الآخر، أظهر الله لها كرامة لتثبيتها فأنطق الله بقدرته ابنها الرضيع الذي شجع أمه على الثبات قائلاً" **:يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة."**

4- **التضحية في سبيل الله:**
الماشطة لم تخف على نفسها أو على أبنائها، بل ضحت بكل شيء من أجل مرضاة الله.

5- **طيب ذكر المؤمنين:**
شمَّ النبي صلى الله عليه وسلم رائحة طيبة أثناء الإسراء والمعراج، وقيل له إنها رائحة ماشطة ابنة فرعون وأبنائها، وهذا يبين أن التضحية في سبيل الله تظل خالدة، ويجعل الله لها ذكراً حسناً في الدنيا والآخرة.

الخطبة السابعة

تاريخ
المسجد الأقصى

عناصر الخطبة:

أولا/ موقع المسجد الأقصى.

ثانيا مكانة المسجد الأقصى.

ثالثا/ تاريخ بناء المسجد الأقصى.

رابعا/ الفتح الإسلامي لبيت المقدس.

خامسا/ الأقصى في خطر.

الخطبة السابعة

تاريخ المسجد الأقصى

عناصر الخطبة:

أولا/ موقع المسجد الأقصى.

ثانيا مكانة المسجد الأقصى.

ثالثا/ تاريخ بناء المسجد الأقصى.

رابعا/ الفتح الإسلامي لبيت المقدس.

خامسا/ الأقصى في خطر.

أولا/ موقع المسجد الأقصى :

يقع المسجد الأقصى داخل البلدة القديمة لمدينة القدس في فلسطين.

وهو اسم لكل ما دار حول السور الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة المسورة. تبلغ مساحته قرابة 144 دونماً [14]، حيث يشمل قبة الصخرة والمسجد القبلي وعدة معالم أخرى يصل عددها إلى 200 معلم.

وكلمة الأقصى تعني الأبعد، وسُمِّيَ الأقصَى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، ويسمى أيضا بيت المَقْدِس.

ثانيا مكانة المسجد الأقصى

المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليلة الإسراء والمعراج ، تلك المعجزة التي اختص بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –قال تعالى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الإسراء:1

[14] الدونم يعادل 1000متر مربع.

لماذا لم يعرج برسول الله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة من المسجد الحرام إلى السموات العلا؟

هذا يدلنا على أن المرور ببيت المقدس، كان مقصوداً، والصلاة بالأنبياء الذين استقبلوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيت المقدس، هذا له معناه ودلالته، أن القيادة قد انتقلت إلى أمة جديدة وإلى نبوة جديدة، إلى نبوة عالمية ليست كالنبوات السابقة التي أرسل فيها كل نبي لقومه.
فهذا الربط بين المسجدين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ليشعر المسلم أن لكلا المسجدين قدسيته، وأن التفريط في المسجد الأقصى كالتفريط في المسجد الحرام.

ومما ورد من أحاديث في فضله :

1- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
"لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثاً: حُكماً يُصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه".
فقال النبي ﷺ" :أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة". رواه الإمام النسائي وابن ماجه .

ومعنى الحكم الذي يصادف حكم الله:أي أن الله عز وجل أعطى سليمان الحكمة والعدل في القضاء بما يوافق مراد الله وحكمه.

2- أن الصلاة فيه تعد بخمسمائة صلاة فيما سواه، قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة» حديث حسن رواه الطبراني.

3- والمسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». رواه البخاري ومسلم

4- والمسجد الأقصى كان القبلة الأولى للمسلمينَ، فهو أولى القبلتينِ حيثُ صلَّى المسلمون إليه في بادئ الأمر نحو سبعة عشر شهرًا قبل أن يَتَحَوَّلوا إلى الكعبة ويتخذوها قبلتهم.

ثالثا/ تاريخ بناء المسجد الأقصى

سأتحدث عن بداية بناء الأقصى المبارك عبر تاريخه الطويل ، مبيناً بالدليل الواضح أن القول بوجود هيكل كان تحت الأقصى المبارك ما هو إلا أسطورة وزعم كاذب عن سبق إصرار يهدف إلى تأسيس حق سياسي باطل لليهود في الأقصى المبارك . !!

روى البخاري في صحيحه : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة.
كما هو واضح من هذا الحديث الصحيح أن بناء المسجد الأقصى تم بعد بناء المسجد الحرام بأربعين عام ، فإذا حددنا زمن بناء المسجد الحرام فإننا نستطيع أن نحدد زمن بناء المسجد الأقصى.

فمن الذي بنى المسجد الحرام ؟ ومتى بني المسجد الحرام ؟

الراجح أن الملائكة هم أول من بنى الكعبة لقوله تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ } (آل عمران96).

فصيغة الفعل(وضع) مبنيا للمجهول تبين أنه وضع لآدم وحواء باعتبارهما أول ناس سكنوا على الأرض ،ولم يقم آدم ببنائه .

ثم بعدها بأربعين سنة بنى المسجد الأقصى، وذلك لحديث أبي ذر السابق

وكان عمل الخليل إبراهيم رفع القواعد وليس التأسيس .

روى البخاري في الصحيح عن ابن عباس حديثاً طويلاً مرفوعاً ، في قصة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام ، ومن ضمن ما ورد في هذا الحديث الطويل : فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه واستقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال :

ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم

فالسياق يدل كما هو واضح أن إبراهيم عليه السلام دعا ربه بهذا الدعاء يوم أن ترك ابنه إسماعيل رضيعاً ، ونصوص القرآن تثبت أن رفع القواعد من البيت كان بعد أن وصل إسماعيل سن الشباب ، حيث ساعد أباه في البناء ، فقوله : { عند بيتك المحرم .. } يدل على أن البيت كان موجوداً يوم وضع إبراهيم ابنه إسماعيل – عليهما السلام – رضيعاً ، بمعنى أن هذا الدليل يؤكد

أن المسجد الحرام كان قبل إبراهيم عليه السلام ، مما يؤكد أن المسجد الأقصى كان قبل إبراهيم عليه السلام كذلك

وهذا يعني أيضا أن المسجد الأقصى بني قبل إبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام ، وأن المسجد الأقصى بني في القدس قبل وجود أي كنيس أو كنيسة أو مسجد فيها ، وأن المسجد الأقصى كان قبل وجود بني إسرائيل بشكل عام .

وهذا يعني أن المستحيل في تفكير كل عاقل أن يكون هناك بناء حجر أو بناء كان تحت المسجد الأقصى .

وأما الحديث السابق ذكره وهو قول النبي –صلى الله عليه وسلم- ل: لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثاً – :حكماً يصادف حكمه – وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده– وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم- : أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة

وواضح أن الرواية تؤكد على مصطلح المسجد ، وهذا يعني أن نبي الله سليمان عليه السلام قام ببناء وتوسعة للمسجد الأقصى الذي كان قائماً منذ آدم عليه السلام ، ولم يقم نبي الله سليمان عليه السلام ببناء تأسيسي للمسجد الأقصى المبارك ، فكما أن إبراهيم عليه السلام قام برفع قواعد المسجد الحرام بعد أن كان موجوداً أصلاً منذ آدم عليه السلام ، فإن سليمان عليه السلام قام بتجديد وتوسعة للمسجد الأقصى بعد أن كان موجوداً أصلاً منذ آدم عليه السلام.

وعليه يظهر لنا بوضوح لا غموض فيه أن كل ادعاء بوجود هيكل أول أو ثان تحت المسجد الأقصى هو ادعاء باطل ، وكل ادعاء بوجود حق لغير المسلمين في المسجد الأقصى هو ادعاء باطل ، وكل ادعاء بوجود بقايا بناء آخر تحت المسجد الأقصى أو في حرمه هو ادعاء باطل.

المسجد الأقصى بعد سليمان

طبقاً لما ذكرته المصادر التاريخية، فقد تم بناء المسجد وهدمه ثلاث مرات:

فقد تم تدمير مدينة القدس والمسجد عام 587 ق.م على يد نبوخذ نصر ملك بابل وسُبى أكثر سكانها، وأعيد بناء المسجد حوالي 520-515 ق.م

وهُدم المسجد للمرة الثانية خلال حكم المكدونيين على يد الملك أنطيوخوس الرابع بعد قمع الفتنة التي قام بها اليهود عام 170ق.م

وأعيد بناه المسجد مرة ثالثة على يد هيرودوس الذي أصبح ملكاً على اليهود عام 40 ق.م بمساعدة الرومان.

وهدم المسجد للمرة الثالثة على يد الرومان عام 70م ودمروا القدس بأسرها.

وفي عام 135 م قام اليهود بثورة في زمن الإمبراطور الروماني أدريانوس الذي دمر أورشليم وبنى مكان المسجد معبدا لجوبيتير وغير أورشليم إلى إيليا ، وتخلص من اليهود بالقتل والتعذيب والنفي وبدأ ما يعرف بعصر الشتات ، وبقي مكان المسجد خالياً تماماً ، باستثناء بقايا السور ومنه الجزء الأكثر شهرة الحائط الغربي أو حائط البراق الذي ربط فيه النبي البراق ليلة الإسراء والمعراج والذي يسميه الصهاينة حائط المبكى .

فأين هي آثار الهيكل؟

لا توجد صورة حقيقية للهيكل، وإنما صور مزعومة يروجها اليهود ليهدموا المسجد الأقصى ويقيموا الهيكل المزعوم مكانه.

أما مرادهم من احتلال فلسطين فإنهم يرونها –حسب مزاعمهم-أرض الميعاد- والأرض التي سوف يأتيهم فيها (المنتظر) الذي يقاتلون به الناس وينتصرون ،وهو المعروف عند المسلمين بالأعور الدجال كما ثبت ذلك في نصوص صحيحة صريحة.

رابعا/ الفتح الإسلامي لبيت المقدس

كان الفتح الإسلامي لبيت المَقدس سنة 15هـ/ 636م، عندما دَخَلَها الخليفة عمر بن الخطاب سلمًا، وأعطى لأهلها الأمان من خلال وثيقته التي عُرِفَتْ بالعهدة العمرية وبعد تسلمه مفاتيح مدينة القُدس من بطريرك الروم صفرنيوس.

سار الفاروق عمر إلى منطقة الحرم الشريف التي كانت خرابًا تامًّا في ذلك الوقت، وزار موقع الصخرة المشرفة وأمر بتنظيفها كما أمر بإقامة مسجدٍ في الجهة الجنوبية منَ الحَرَم الشريف، والذي ينسب إليه ويعرف بمسجد عمر بن الخطاب .

الأمويون وعمارة المسجد الأقصى

وتم تعمير الأقصى مرة أخرى في عهد الدولة الأموية ، حيث نُفذ هذا في عهدي الخليفة عبدالملك بن مروان وابنه الخليفة الوليد، الذي اشتمل على بناء قبة الصخرة المشرفة وقبة السلسلة في عهد الخليفة عبدالملك، وبناء المسجد الأقصى ودار الإمارة والأبواب ومعالم أخرى عديدة اندثرت جراء الهزَّات الأرضيَّة العنيفة التي حدثت في بيت المقدس وفِلَسطين.

وقبة الصخرة هي المبنى ذو القبة الذهبية، وموقعها بالنسبة للمسجد الأقصى ككل كموقع القلب من جسد الإنسان أي أنها تقع في وسطه إلى اليسار قليلاً.

وهذه القبة تعتبر هي قبة المسجد ككل، وهي من أقدم وأعظم المعالم الإسلامية المتميزة.

وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصخرة التي تقع داخل المبنى والتي عرج منها النبي إلى السماء على بعض الأقوال لأن الصخرة هي أعلى بقعة في المسجد الأقصى.

وقبة الصخرة هي حالياً مصلى النساء في المسجد الأقصى.

والصخرة غير معلقة كما يعتقد عامة الناس، لكنه يوجد اسفلها مغارة صغيرة.

صلاح الدين واستعادة المسجد الأقصى

عاد الطَّابَع المعماري للمسجد الأقصى المبارَك في هذه الفترة بعد تحريره وتطهيره من الصليبيينَ الذين عَبِثوا به وغَيَّروا بعض ملامحه، فقد آلى صلاح الدين الأيوبي على نفسه ألا يبتسم حتى يحرر بيت المقدس من سيطرة الصَّليبيين، وكان له ما أراد بنصر الله في عام 583 هـ (4 يوليو 1187م)، وتَمَّ فتح بيت المقدس في 27 رجب من عام 573هـ (2 أكتوبر 1187م) بعد استعمار صليبي دام 88 عامًا؛ حيث قام المسلمون بإرجاعه إلى ما كان عليه قبل الغزو الصليبي وإصلاحه وتعميره وإضافة بعض المنشآت إليه.

خامسا/ الأقصى في خطر

وابتليتِ الأمة الإسلامية بهيمنة الاستعمار الغربي بعد سقوط الخلافة الإسلامية عام 1924م فكانت الأردن وفِلَسطين ومصر من نصيب المستعمر البريطاني الذي عمد إلى منح اليهود وعد بلفور عام 1917م بتمكينهم من احتلال فِلَسطين، وقد كان لهم ما خططوا بإقامة الدولة العبرية عام 1948م

على أرض المسلمين المباركة وابتلعوا القدس الشريفة.
ومنذ الاحتلال الصِّهْيَونِي لفِلَسطين والمحاولات حثيثة ودؤوبة لتدمير المسجد الأقصى

وإزالته وإقامة الهيكل المزعوم مكانه، وهم يعملون على تحقيق ذلكَ بشَتَّى الطُّرق والحِيَل

والمُخَطَّطَات.. فكان الحريق الإجرامي الشهير الذي وقع للمسجد في صباح يوم الخميس 21-8-1969م حيث تعرَّض المسجد الأقصى لعملية إحراق متعمدة، هدفت إلى إزالة هذا المسجد المبارك عن الوجود تمهيدًا لإقامة الهيكل المزعوم مكانه .

وهبّ أهل القدس يطفئون نيران الحقد التي طالت مسجدهم المبارك ، وأتت النيران على منبر صلاح الدين الأيوبي، ومحراب زكريا عليه السلام وجانب كبير من المسجد الأقصى حيث اشتعلت النار في سطحه الجنوبي، كما التهمت النيران سقف ثلاثة أروقة وجزء كبير من هذا القسم، بفعل أيد مجرمة تعمدت الجريمة مع سبق الإصرار .

وأدعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أن مرتكب الجريمة اليهودي الأسترالي مايكل دينيس روهان (28 سنة) معتوه؟ !!!!!

وما لبثت أن أطلقت سراحه وأبعدته إلى بلاده .

وقال المجرم روهان لدى اعتقاله عقب نشوب الحريق : إن ما قام به كان بموجب نبوءة في سفر زكريا مؤكدا أن ما فعله هو واجب ديني كان ينبغي عليه فعله .

وأضاف أنه قد نفذ ما فعله كمبعوث من الله، وعليه فإن هذا الحريق قد تم عن قصد وتعمد وسبق إصرار.

وقبله وبعده العديد من الاختراقات التي قام بها متطرّفون صهاينة في حماية سلطات الاحتلال، وكل عام تدعو جماعة أبناء الهيكل إلى اقتِحام المسجد والتمهيد لإقامة الهيكل.
إلا أن الخطر الأكبر الذي يتهدد المسجد الأقصى هو تلك الحفريات المنظمة والأنفاق في أساساته وتلك الإجراءات التي تمارس تحت الأرض، والتي أثارت شكوكا حقيقية في طبيعة النيات والدوافع التي تقف وراء مثل هذه الإجراءات التي يرى المسلمون فيها أنها قد تحدث خلخلة في أساساته يمكن أن تؤدي لا قدر الله إلى تصدعه وانهياره .

وفي ذات السياق ففي العام 1996 وتحديدا في شهر أيلول حدث انتهاك خطير على مستوى

إسرائيلي رسمي في المسجد الأقصى ممثلا بافتتاح النفق الكائن تحته سياحيا الأمر الذي أدى يومها إلى انتفاضة النفق، وسقوط عدد كبير من الشهداء الفلسطينيين احتجاجا على هذا التصرف الإسرائيلي.

ومما هو جدير بالذكر أن الصهيونية المسيحية تعتقد أن ثلاث إشارات ينبغي أن تسبق عودة المسيح:

1- الإشارة الأولى هي: قيام إسرائيل، وقد قامت سنة (1948 م).
2- والإشارة الثانية هي: احتلال مدينة القدس، وقد احتلت سنة (1967 م).
3- والإشارة الثالثة هي: إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

وهذا ما تعمل له إسرائيل منذ زمن، وما تقوم به من حفريات تحت بنيان المسجد الأقصى، بحجة البحث عن آثار يهودية مطموسة، وفي مقدمتها الهيكل المزعوم.

ونشرت الصحف منذ سنوات تصريحا للجنرال الإسرائيلي المعروف موشي ديان يبرر به ضم القدس إلى إسرائيل وإنشاء مستوطنات جديدة فيقول: إن على الذين يعارضون هذه السياسة مراجعة موقفهم من الإنجيل والتوراة.

نسأل الله أن يحفظ المسجد الأقصى ، وأن يثبت المرابطين في المسجد الأقصى وأن يرزقنا صلاة فيه قبل الممات.
اللهم آمين.

****

الخطبة الثامنة

أرحنا بها يا بلال

عناصر الخطبة:

أولا/ متى فرضت الصلاة؟

ثانيا/ حكمة فرضية الصلاة ليلة الإسراء

ثالثا/ الصلاة معراج المؤمن

رابعا/ الخشوع روح الصلاة

خامسا/ كيف نحقق الخشوع في الصلاة ؟

الخطبة الثامنة

أرحنا بها يا بلال

عناصر الخطبة:

أولا/ متى فرضت الصلاة؟

ثانيا/ حكمة فرضية الصلاة ليلة الإسراء

ثالثا/ الصلاة معراج المؤمن

رابعا/ الخشوع روح الصلاة

خامسا/ كيف نحقق الخشوع في الصلاة ؟

أولا/ متى فرضت الصلاة؟

فرض الله -عز وجل الصلاة – في السماء ليلة المعراج، حيث عُرِج بسيد البشر إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى، ثم رفعه الله إلى مستوى لم يبلغه أحد وفرض عليه الصلوات الخمس بلا واسطة ملك.

وهذا من أعظم الأدلة على منزلة الصلاة عند الله -تعالى- ومكانتها من الدين .

ففي حديث الإسراء (..... ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟

قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم.

قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

فرجعت، فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله.

فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: مثله فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات

كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟

قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم.

قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك

قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأُسَلِّم، قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففت عن عبادي) رواه البخاري

ثانيا/ حكمة فرضية الصلاة ليلة الإسراء

والحكمة في فرض الصلاة ليلة الإسراء أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لما عُرِجَ به رأى تعبُّد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يرقد، فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص.

وأيضًا كانت فرضيتها بغير واسطة إشارة إلى عظيم منزلتها، وسموِّ مكانتها في الدين ،وكيف لا وهي عماد الدين وأساس اليقين، ومنطلق التحرُّر من كل عبودية، إلا من العبودية لله وحده، والتخلص من كل ذلٍّ، إلا لربه وخالقه ورازقه،

ثالثا/ الصلاة معراج المؤمن

رغم أن هذا القول ليس بحديث، كما يتوهَّم البعض، لكنه يصف بدقة الكيفيّة التي فرضت فيها الصلاة وحال العبد في صلاته، حيث أكرم الله عزّ وجلّ عبده ونبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- بالعروج إليه، كما أشرنا، وهناك عند سدرة المنتهى فرض عليه الصلاة وحيًا مباشرًا، وهي معراج المؤمن إلى ربه، ومدَدَ متصل بين الأرض والسماء، ففي الصلاة يعرج المؤمن بروحه، ويطوي فواصل البعد بينه وبين خالقه عزّ وجلّ، ولا يشعر بهذه الرحلة إلا من يكتمل خشوعه في صلاته، وبهذا يتحقق المعنى الحقيقي للصلاة وهي الصلة بين العبد وربه.

ولما كان الإسراء والمعراج للرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالجسد والروح تكريمًا للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فإن ربَّ العالمين اختصَّ أمته بأن فرض عليها الصلاة في تلك الرحلة؛ لتكون عروجًا للمسلم بروحه وقلبه، وإذا كان

الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد اقترب من ربه، فإن في الصلاة قربًا من الله تعالى قال تعالى:(كلا لا تطعه وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ.)

فمنزلة الصلاة من الإسلام، منزلة الرأس من الجسد، فهي عماده ودعامته، وركنه وشعيرته، وهي قُرَّةُ العين، وأُنْسُ النفس، وبهجة القلب، والصِّلَة بين العبد والرب،.

وإن نداء الله أكبر المتكرر في اليوم يجعل المسلم على يقين أن ماعدا الله الكبير المتعال صغير، والوقوف تجاه القبلة وإشارة اليدين بطرح الدنيا كلها خلف الظهر، وتيمم وجهك وقلبك وجسدك إلى بيت الله سبحانه، حتى ولو كنت إمامًا فتأخذ المأمومين معك إلى الله ووجهك و وجوههم إلى الله وظهرك وظهورهم إلي الدنيا، وتتحقق بما تفتتح به الصلاة: وجَّهْتُ وَجْهيَ للَّذي فطر السَّمَوَات وَالْأَرْض حَنِيفا وَمَا أَنا من الْمُشْركين، إِن صَلَاتي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لله رب الْعَالمين، لَا شريك لَهُ، وَبِذَلِك أمرت وَأَنا أول الْمُسلمين.

هل بعد هذا يبقى على جسدك من درنٍ بعد الوضوء؟

وهل يبقى في نفسك دَرَن من الذنوب بعد هذا الاستغفار في الاستفتاح لو خرج من القلب ودعوت الله وأنت موقنٌ بالإجابة؟

وإذا نزلت بالمؤمن شدَّة أو أهمه أمر أسرع بالوقوف بين يدي الله تعالى، كما قال جل وعلا : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) وقد كَانَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حزبه (اشتد)أَمرٌ فزع إلى الصلاة.

فالخاشع في صلاته إذا انصرف منها وجد خفّة من نفسه ، وأحس بأثقال قد وضعت عنه ، فوجد نشاطا وراحة وروحا ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرّة عينه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها ، فالمحبون يقولون : نصلي فنستريح بصلاتنا ، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم : (يا بلال أرحنا بالصلاة) ولم يقل أرحنا منها .
وقال : (جعلت قرة عيني بالصلاة) فمن جُعلت قرّة عينه في الصلاة ، كيف تقرّ عينه بدونها وكيف يطيق الصبر عنها ؟

يقول ابن القيم : (فاعلم أنه لا ريبَ أن الصلاةَ قرَّة عُيون المحبّين، ولذَّة أرواح الموحِّدين، وبستان العابدين ولذَّة نفوس الخاشعين، ومحكُّ أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده

المؤمنين هداهم إليها، وعرَّفهم بها، وأهداها إليهم على يدِ رسوله الصادق الأمين، رحمةً بهم، وإكرامًا لهم؛ لينالوا بها شرفَ كرامته، والفوز بقربه، لا لحاجةٍ منه إليهم، بل منَّة منه وتفضُّلاً عليهم، وتعبَّد بها قلوبَهم وجوارحهم جميعًا، وجعل حظَّ القلب العارف منها أكملَ الحظَّين وأعظمَهما؛ وهو إقباله على ربِّه – سبحانه – وفرحه وتلذُّذه بقربه، وتنعُّمه بحبه، وابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام له بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده، وتكميله حقوق عبوديته ظاهرًا وباطنًا حتى تقع على الوجه الذي يرضاه ربُّه – سبحانه) [15]

رابعا/ الخشوع روح الصلاة

ولئن كانت الغالبية العظمى من المسلمين يؤدون صلاة ميكانيكية ورثوها عن آبائهم، واعتادوها بمرور الأيام، وكرِّ الأعوام، لا يتعرفون أسرارها، ولا يستشعرون آثارها، وحسب أحدهم أن يلفظ الكلمات، ويأتي بالحركات، ويسرد الهيئات، ثم ينصرف معتقداً أنه أدى الفريضة، وأقام الصلاة، وخلص من العقوبة، ونال الثواب، فهذا وَهْمٌ لا حقيقة له؛ فليست هذه الأقوال والأفعال من الصلاة إلا جسماً روحه الفهم، وقوامه الخشوع، وعماده التأثير.

إن العبد ليعرج بصلاته إلى العالم الأعلى إذا هو رفع يديه إشارة إلى توديع الدنيا واستقبال الآخرة، وليوجِّه قلبه وروحه وسره إلى الله، فيتدبر معنى ما يقرأ، ويشهد بعين قلبه أنه بين يدي ربه يناجيه ويكبِّره، ويحمده ويثني عليه، وهذا هو المعراج الروحاني في الصلاة.

ذلك المعراج يتحقق حينما نتخلص من ركام الطينية، ونسمو إلى آفاق الروحانية، ونتخلص من قيود المادية لنحلِّق في ملكوت رب البريَّة، فنسعد بالوقوف بين يديه، نناجيه بكلامه، ونتزلف إليه بقرآنه، ونتحبب إليه بالثناء عليه، والإنابة إليه، والتضرع بين يديه.

وقد ذكر الله أول صفة من صفات المؤمنين أنهم (في صلاتهم خاشعون)، فلا تتحقق الصلاة كاملة من دون خشوع، والخشوع معناه حضور القلب، وسكينة النفس، وفراغ العقل من الهوى أو التفكير فيما سوى الله – عز وجل .-

---

[15] أسرار الصلاة لابن القيم ص 55 – 56

وكما ابتدأت صفات المؤمنين بالصلاة فقد ختمت بالصلاة فقد قال تعالى في آخر صفات المؤمنين (والذين هم على صلواتهم يحافظون) فما هو السر في ابتداء صفات المؤمنين بالصلاة وانتهائها بالصلاة ؟

افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها بالصلاة، تعظيما لشأنها فدل على أفضليتها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.) صححه الألباني.

وتقديم الخشوع للاهتمام به، فإن الصلاة بدونه كجسد بلا روح ، فقد بدأ بالخشوع في الصلاة، وكأنه إشارة إلى أول ما يرفع، وختم بالمحافظة عليها إشارة إلى آخر ما يبقى.

والخشوع غير المحافظة، فالخشوع أمر قلبي متضمن للخشية والتذلل، وجمع الهمة والتدبر، وأمر بدني وهو السكون في الصلاة فهو صفة للمصلي في حال تأديته لصلاته.

وأما المحافظة فهي المواظبة عليها، وتأديتها وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها والمشروع من أذكارها، وأن يوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها، وبما ينبغي أن تتم به أوصافها.

(الذين هم في صلاتهم خاشعون) تستشعر قلوبهم رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله ، فتسكن وتخشع ، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات . ، فتختفي من أذهانهم جميع الشواغل ، ولا تشتغل بسواه.

(خاشعون) أي خائفون ساكنون والخشوع هو السكون والطمأنينة وهو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل .

ومن فوائد الخشوع أنه يخفف أمر الصلاة على العبد قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (والمعنى : أي مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين.

خامسا/ كيف نحقق الخشوع في الصلاة ؟

لو سألنا سؤالا : ما هي أكثر الأيام التي نشعر فيها بالخشوع في الصلاة ؟ لكان الجواب في رمضان في صلاة القيام وعلى الأخص في دعاء القنوت ؛ نشعر ساعتها بالخشوع وتذرف منا الدموع وتقشعر منا الجلود ...لماذا ؟

استشعار أنك تخاطب الله جعلك تستدعي حضور قلبك وذهنك ، وهذا هو المفتاح السحري للخشوع... الذي قد غير صلاة الكثيرين ، وهذا المفتاح يتلخص في ثلاث كلمات:

كلم ربك .. خاطب ربك .. تحدث إليه

فحضور القلب هو الذي يوجب الخشوع واللذة ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المعنى فقال : (أما إن أحدَكم إذا قام في الصلاةِ فإنه يناجي ربَّه فليعلمْ أحدُكم ما يناجي ربَّه ولا يجهرْ بعضُكم على بعضٍ بالقراءةِ في الصلاةِ) رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إذا كان يصلي فإنه يناجي الله يعني يخاطبه والله عز وجل يرد عليه فإذا دخل في الصلاة فقد وقف بين يدي الله عز وجل فليستشعر أنه يخاطب الله عز وجل بكامل صفاته .

فاجعل صلاتك كلها مناجاة ، ستستمتع بها وتخشع فيها مثلما تفعل في دعاء القنوت في رمضان .

كما في الحديث القدسي (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدي فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى عليّ عبدي ، فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجّدني عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.) صحيح مسلم

هذا في الفاتحة وفي ركوعك خاطبه (سبحان ربي العظيم) وترفع رأسك (سمع الله لمن حمده) فتخاطبه قائلا (ربنا لك الحمد)

وفي السجود تخاطبه (سبحان ربي الأعلى) وتدعوه وتناجيه (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)

وهذا أمر عظيم جليل لو استحضره كل مصلٍّ لحصل له خشوع بالغ ولوجد للفاتحة أثرا عظيما كيف لا وهو يستشعر أن ربّه يخاطبه ثم يعطيه سؤله.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه ، فقيل له : ما لك ؟ فيقول : جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتُها.

ولما سُئِل حاتم الأصم عن صلاته قال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي ،والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي ، ومَلَك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين يدي الرجاء والخوف وأكبر تكبيراً بتحقيق وأقرأ بترتيل وأركع ركوعاً بتواضع وأسجد سجوداً بتخشع... وأتبعها الإخلاص ثم لا أدري أقُبلت مني أم لا؟

****

فهرس الموضوعات

المقدمة	1
فضل شهر رجب	3
رحلة الطائف دروس وعبر	11
الحرب على غزة في الأشهر الحرم	18
في ظلال الإسراء والمعراج	28
الإسراء والمعراج بمقاييس العلم الحديث	40
قصة ماشطة ابنة فرعون	48
تاريخ المسجد الأقصى	51
أرحنا بها يا بلال	60